الحلية

مختصر الغنية

للشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله

عنى باختصارها

محمد بن سليمان العليط

عفى الله عنه ووالديه والمسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم

وبعون الله الكريم وحسن تأييده نذكر نبذة من ترجمة الشيخ عبد القادر رحمه الله عنه وعفى عنه وعنا لأجل ينتفع بها من تأملها إن شاء الله تعالى .

نسبه رحمه الله تعالى

هو عبد القادر بن أبي صالح بن عبد الله بن جنكي دوست ابن عبد الله الجيلي ثم البغدادي الزاهد الورع إمام الحنابلة وشيخهم في عصره فقيه صالح خيّر كثير الذكر دائم الفكر سريع الدمعة رحمه الله وعفا عنه

مولده رحمه الله تعالى

ولد الشيخ رحمه الله سنة تسعين وأربعمائة بكيلان ثم صارت بغداد هي موطنه ومستقره رحمه الله آمين.

وكان يسكن في مدرسة باب الأزج ولما فوضت إليه هذه المدرسة أراد أن يوسّعها فكان الرجال والنساء يأتونه بالشيء حتى عمرها رحمه الله وعفى عنه وقيل جاءت امرأة معها زوجها وقالت أريد أن أعمر معك بقدر صداقي الذي في ذمته.

كراماته رحمه الله تعالى

قال الموفق لم أسمع عن أحد يحكى عنه في الكرامات أكثر مما يحكى عن الإمام عبد القادر رحمه الله تعالى.

قال ابن مطيع دخلت على عبد القادر وهو ضجر فانتهرني وقال قم عني فخرجت ثم أرسل إلي بعد فجئت إليه وقال لي لما ذهبت عني ، نمت فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال لي أنت معلم الخير لا تضجر أنت معلم الخير لا تضجر ثلاث مرات

وذكر ابن رجب رحمه الله في ترجمة الشيخ : قال الشيخ عبد القادر رحمه الله خرجت إلى البرية وأصابني عطش شديد فأظلتني سحابة ونزل عليّ منها ماء ثم رأيت نوراً وبدت لي

صـــورة ونوديـــت يـــا عبد القادر أنا ربك وقد أحللت لك المحرمات فقلت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم إخس يا لعين!

الله الـــذي لا إلـــه إلا هو فأذهبه الله عني . وصارت تلك الصورة دخان ثم قال نجوتَ مني بعلمك بحكم ربك وفقهك في منازلاتك ولقد أضللت بمثل هذه سبعين من المريدين .

وقال أيضاً :

طالبـــتني نفســـي بشهوة من الشهوات فكنت أدافعها فبينما أنا أمشي إذ رأيت ورقة فيها مكتوب " ما للأقوياء والشهوات إنما هي للضعفاء من عبادي ليتقوّى بها على طاعتي .

ومن كراماته أيضاً

مـــا قـــال عمـــر السهوردي " كنت عزمت على أن أقرأ شيئاً من علم الكلام وأنا متردد فصليت مع الشيخ عبد القادر رحمه الله فالتفت إليّ وقال يا عمر ما هو من زاد القبر مرتين فرجعت عن ذلك "

ومن عجائب فتاويه رحمه الله

أن جـــاء فُتيا من بلاد العجم إلى بغداد وعرضت على العلماء فلم يتضح لأحد فيها جواب شـــاف، وصورتها ما يقول السادة العلماء في رجل حلف بالطلاق الثلاث أن لا بد أن يعبد الله عـــبادةً ينفرد فيها دون الناس في وقت تلبسه بها فما الحكم ؟ فأجاب الشيخ رحمه الله عـــلى الفـــور : قال يأتي مكة ويخلى له المطاف ويطوف أسبوعاً وحده، فما بات صاحب الفتوى تلك الليلة في بغداد بل ذهب مسرعاً (ابن رجب ذيل الطبقات)

ومن دُرر كلامه رحمه الله

الخلـــق حجابك عن نفسك ونفسك حجابك عن ربك ما دمت ترى الخلق لا ترى نفسك وما دمت ترى نفسك لا ترى ربك .

ذكر وفاته رحمه الله ورضي عنه

أوصـى ولـده في مرضه فقال : عليك بتقوى الله عز شأنه ولا تخف أحداً ولا ترجو وكل الحوائـج إلى الله تعـالى وأطلـبها منه ولا تثق بأحد سوى الله سبحانه ولا تعتمد إلا عليه التوحيد التوحيد جماع الكل التوحيد .

وذكـر عنه أنه كان يقول عند موته رفقاً رفقاً السلام عليكم أجي إليكم وقيل أنه قال عنه عند موته أنا شيخ كبير ما وعدنا بهذا وسأله ابنه عن مرضه فقال لا يسألني أحد أنا أتقلب بعلم الله ومرضي لا يعلمه جنٌّ ولا إنسٌ ولا ملكٌ وسأله أيضاً ابنه عبد الجبار عن ألمه فقال : جسمي يؤلمني إلا قلبي ما فيه ألم وهو صحيح مع الله .

وقال بعض أولاده أنه رحمه الله وعفى عنه لمّا كان عند وفاته يقول : وعليكم السلام ورحمه الله وبركاته غفر الله لي ولكم وتاب الله عليّ وعليكم بسم الله غير مودعين قال ذلك يوماً وليلة قال وكان يرفع يده ويمدها ويقول وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته توبوا وادخلوا هـو إذاً أحـي إلـيكم وكان يقول ارفقوا ارفقوا ثم أتاه الحق وسكرة الموت وهو يقول اسـتعنت بـلا إلـه إلا الله الحي القيوم الذي لا يموت ولا يخشى الفوت سبحانه من تعزز بالقدرة وقهر عباده بالموت لا إله إلا الله محمد رسول الله ثم قال يا الله يا الله يا الله ثم خفي صـوته ولسانه ملتصق بسقف حلقه ثم مات رحمه الله وعفى عنّا وعنه وجمع بيننا وبينه في مقعد صدق عند مليك مقتدر اللهم صلي وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

ومما رثي به رحمه الله بعد وفاته

مطلع الشمس فيه داج كأن قد ... كورت أو أتى عليها خمـود
حلت المنون بمحي الديـن ... حقاً فما لحياته خمـود
ذو المقام العلي في الزهـد ... لا ينكر هذا الوصف إلا حسود
والفقيـه الذي تعـذر أن ... يرى له في الورى جميعاً نديـد
مخلـص في جميع أعمـاله لله ... ما إن عليه فيهـا مزيـد

وقال آخر :

دموعي على صحن الخدود تسيل ... وصبري قليل والغرام طويـل
على فتى قد نوّر الرحمن قلبـه ... له شرف وعز بين العالمين طويل

قال قدس الله روحه :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والثناء لمن له العز والعلاء الذي هو إله واحد له الملك والكبرياء وليس له شريك في الأرض والسماء والذي خلق الرسل الأصفياء الذي من اهتدى بهديهم صار من السُعداء ومـــن خالف طريقتهم كان من الأشقياء والصلوات الغير المحصورة بلا انتهاء والسلام من غير عدّ وإحصاء على أفضل الخلق وخاتم الأنبياء وعلى آله الأتقياء وعلى صحبته الكملاء إلى يوم الجزاء .

ربي يسّـــر وأعـــن يا كريم اللهم عونك ولطفك اللهم صلى على صفوة خلقك محمد وآله وأصحابه وسلم .

الحمد لله الذي بتحميده يستفتح كل كتاب وبذكره يصدر كل خطاب وبحمده يتنعم أهل النعـــيم في دار الجـــزاء والثواب وباسمه يشفى كل داء وبلاء إليه ترفع الأيدي بالدعاء فله الحمد على ما أولى وأسدى .

أمـــا بعد : فقد ألحّ عليّ بعض أصحابي في تصنيف هذا الكتاب الحسن والله هو العاصم في الأقوال والأفعال والمتفضل بتسهيل ما أراد والمرجو لتطهير القلوب من الرياء والنفاق .

ثم الإتعـــاظ بالقرآن والألفاظ النبوية وأخلاق الصالحين ستمرّ في أثناء هذا الكتاب إن شاء الله ليكون عوناً على الطريق إلى الله عز شأنه .

باب

فنقول أول ما يجب على من يريد الدخول في ديننا أن يتلفظ بالشهادتين ويتبرأ من كل دين يخالف دين الإسلام قال تعالى{وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} (٨٥) سورة آل عمران

وقا ل صلى الله عليه وسلم (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله) الحديث

ثم الصـــلاة ولهـــا شروط تقدمها منها طهور بالماء أو التيمم عند عدم الماء والسترة والبقعة الطاهرة واستقبال القبلة والنية ودخول الوقت .

والنية وهي أن ينوي بقلبه رفع الحديث ثم التسمية إذا ذكر ثم المضمضة وهي إدخال الماء في فمـــه و مجـــه ثم الإستنساق ثم غسل الوجه ثم غسل اليدين إلى المرفقين ثم مسح الرأس ثم يغمـــس يديـــه في الماء ثم يرفعهما فارغتين ويمسح بهما رأسه ويدخل الإبهامين في صماخيَ الأذنين ويغسل الرجلين إلى الكعبين ثم الترتيب ثم الموالاة فإذا فرغ قال أشهد أن لا إله إلا الله وأشـــهد أن محمداً عبده ورسوله اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين وإن رفع رأسه فهو أكمل لأنه روي فيه حديث والله أعلم .

ثم التيمم إن لم يوجد الماء يضرب يديه على تراب طاهر له غبار مسمّياً ضربة واحدة يفرج بين أصابعه فمسح وجهه وظهر كفيه .

ثم الستارة تكون طاهرة تستتر عورته ومنكبيه وأما البقعة لا بد أن تكون طاهرة وإن كانت نجســـة فبســـط علـــيها بساطاً طاهراً صحت صلاته على إحدى الروايتين عن أحمد وكذا المغصوبة إذا بسط عليها بساط على رواية ضعيف.

ثم استقبال القبلة إذا كان بمكة وإن كان في المسجد يستقبل عين الكعبة والبعيد إلى جهتها .

ثم النية ومحلها القلب ينوي أداء ما افترض الله عليه من غير رياء ولا سمعة ثم يحضر قلبه إلى أن يفرغ .

ثم دخول الوقت فيعلم يقيناً أو غلبه الظن إذا كان يوم غيم أو هيجان رياح أو لموانع ثم إذا كملـــت هـــذه الشروط دخل في الصلاة في التكبير فقط لا يجزي غيرها ولها شروط وهي أربعة عشر ولها واجبات وهي تسعة جميع التكبيرات إلا تكبيرة الإحرام والتسميع والتحميد والتســـبيح والتشـــهد الأول والجلسة وقول ربي اغفرلي والجلسة له وأما السنن فهي أربعة عشر الإستفتاح والتعوذ وقول بسم الله الرحمن الرحيم.... الخ

كتاب الزكاة

تجب الزكاة إذا كان المال زكويّ وبلغ النصاب .

ونصاب الذهب عشرون مثقالاً ونصاب الفضة منتا درهم ونصاب الإبل خُمس ونصاب البقر ثلاثون ونصاب الغنم أربعون .

وأهل الزكاة ثمانية كما قال الله تعالى في أية التوبة {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} (٦٠) سورة التوبة

الفقير الذي لا يملك كفايته والمسكين الذي له معظم الكفاية والعامل هو الذي يحفظها حتى يؤديها إلى الإمام ، والمؤلف هو الذي يعطى يُرجى إسلامه أو كف شره ، والرقاب هو العبد الذي اشترى نفسه من سيده يُعطى من الزكاة ، والغارم هو الذي عليه دين لا طاقة له على وفائه أو يدفع به ثأره بين المسلمين .

وفي سبيل الله وهو الغازي الذي لا مرتب له في بيت المال وإن كان غنياً وابن السبيل وهو المسافر إذا مر على بلد وليس معه شيء يبلغه إلى بلده .

فصل

وتستحب صدقة التطوع في سائر الأوقات ليلاً ونهاراً قليلة أو كثيرة لا سيما في رمضان وأيام العيد وعاشوراء وأيام الجدب ليستجلب بذلك العافية في الجسم والمال والأهل والخلف السريع وثواب الآخرة إن شاء الله تعالى .

كتاب الصيام

وإذا دخل شهر رمضان وجب على جميع الناس الصوم لقوله تعالى {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ } (١٨٥) سورة البقرة

ويثبت دخوله برؤية أو مشاهدة واحد عدل أو كمال شعبان ثلاثي يوماً إذا كان فيه حدوث غيم أو مطر .

ونية الصوم أي وقتها من غروب الشمس إلى قبل الفجر الثاني هكذا كل الليلة وإن نوى في أول ليلة من الشهر كفاه في رواية ضعيفة والصحيح الأول ويجتنب جميع ما يدخل جوفه

من أي موضع كان والحجامة والقيء والمني فإن فعل شيئاً من ذلك بطل صومه ويجب عليه الإمســـاك والقضاء إلا الجماع فإنه يجب عليه مع القضاء كفارة وهي عتق أو صوم شهرين أو إطعام ستين مسكيناً .

ويدعـــو وقت الإفطار كما روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت سبحانك اللهم وبحمدك اللهم تقبل مني فإنك أنت السميع العليم .

كتاب الإعتكاف

ويســـتحب الإعـــتكاف في المساجد والأولى الجامع والإعتكاف فيه جمع للهمة وعون على كســـر الـــنفس وهو من السنن المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه كانو يداومون عليه وإذا اعتكف يكون شغله بما يقربه إلى ربه من القرآءة والذكر ويبعد عن ما لا يعنيه ويكثر الصمت وله الخروج لما لا بد له منه من حاجة الإنسان أو خوف على نفسه مـــن فتنة أو مرض وغير ذلك . ولا يجوز فعل شيء من المستقذرات في المسجد ولا يجوز العمل بها مثل الخياطة والخرازة ونحوهما ويستحب إخراج القمامة لأنه ورد فيه حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه مهور الحور العين والله أعلم

فصل

في الحكمة من العدد سبعة

وعدد حروف سورة القدر إلى سلام هي سبع وعشرون حرفاً ومكث أيوب في البلاء سبع سنين وتزوج النبي صلى الله عليه وسلم عائشة وهي بنت سبع وأيام العجوز سبعة ثلاثة من إشـــباط وأربعة من أذار وفي قوله صلى الله عليه وسلم شهداء أمتي سبعة القتيل والمطعون ..الخ .

وأقســـم الله عز شأنه بسبع والشمس وضحاها .. الآية وطول عصى موسى سبعة أذرع وطول موسى سبعة أيضاً والله أعلم فإذا كان أكثر الأشياء سبع فقد نبه الله عز شأنه أن ليلة القدر سبع وعشرون .

فصل

في وداع رمضان

ويقول عنه وداع رمضان السلام عليك يا شهر الصيام السلام عليك يا شهر القيام السلام عليك يا شهر الإيمان السلام عليك يا شهر القرآن السلام عليك يا شهر الأنوار السلام عليك يا شهر المغفرة السلام عليك يا شهر الدرجات السلام عليك يا شهر التائبين .

فصل

في اخرج الزكاة

ويخرج زكاة الفطر وقدرها صاع وزنه خمسة أرطال وثلث بالعراقي في البر والتمر أو الزبيب أو الشعير أو الأقط فإن عدمها فليخرج من قوت بلده مثل الذرة والدخن ويخرجها ليلة العيد وإن أخرجها بعد الفجر وقبل صلاة العيد فهو أكمل وأولى كما في الخبر أغنوهم في هذا اليوم عن الطواف وكلما كان أطيب فهو أعظم أجر ويدل على سخاوة النفس في العبادة وقوة الإيمان وقوله صلى الله عليه وسلم والصدقة برهان يعني تبرهن على أن في قلبه إيمان

كتاب الحج والعمرة

إذا أكملت فيه الشروط وهو الإسلام والعقل والحرية والبلوغ والإستطاعة وعدم العدو المانع ولا يكون إلا بعد النفقة لعياله إلى أن يعود وقضاء الدين أو استحلال صاحبه فإن حج وترك عياله أو دينه خالف الأمر وكان مأثوماً ظالماً مسخوطاً عليه كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوته وكذا الدين وهو أعظم ما يكون .

وجاء أخبار عظيمة في فضائل الحج ، عن ابن عباس رضي الله عنه قال جاء طائفة من أهل اليمن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا فداك الأمهات والآباء أخبرنا بفضائل الحج قال نعم أي رجل حج من مترله حاجاً أو معتمراً فكلما رفع قدماً ووضع قدماً تناثرت الذنوب من قدميه كما تناثر الورق من الشجرة .

فصل

فإذا بلغ الميقات من أي جهة يغتسل إذا أمكن وإلا توضأ ويأخذ من شعر إبطيه وعانته وأظفاره ثم يلبس رداء وإزاراً ويستحب أن يكون أبيضين نظيفين ويتطيب ويصلى ركعتين ثم يحرم بقلبه وإن نطق به فلا بأس ويقول اللهم إني أريد العمرة متمتعاً بها إلى الحج فيسر ذلك لي وتقبل مني وإن حبسني حابس فمحلي حيث حبستني ثم يلبي ويقول لبيك اللهم لبيك لا شريك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك ويصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ويدعو لنفسه بما أحب ثم يعود ويلبي وهكذا .

فصل

ولا يجوز له لبس مخيط ولا تغطية رأسه ولا يلبس الخفين إلا إذا لم يجد النعال ولا يتطيب فإن فعل شيئاً في ذلك ذبح شاة ولا يقلم أظفاره ولا يحلق شعره ولا شيئاً من شعر بدنه فإن قصّى ثلاثة أظفار أو أخذ ثلاث شعرات فعليه دم وإن كان ظفر واحد أو شعرة واحدة فعليه مد من طعام ولا يعقد نكاح وتجوز الرجعة وإن جامع قبل الرمي بطل حجه وعليه بدنه ويقضيه من العام القابل هو وزوجته ولو كان نافلة .

ولا يقتل صيداً مأكولاً وما تولد من مأكول إلا بهيمة الأنعام فإن فعل فعليه الجزاء مثله من النعم فإن صاد نعامة فعليه بدنة وإن صاد حماراً وحشياً فعليه بقرة وإن صاد غزالاً فعليه عنز وإن صاد ضبعة فعليه كبش وإن صاد أرنباً فعليه عناق وإن صاد جربوعاً فعليه جفرة وإن صاد ضباً فعليه جدي وإن صاد حمامة فعليه شاة وإن صاد شيئاً ليس له مثل فعليه القيمة يرجع إلى قول عدلين وصيد حرم المدينة حرام ولكن ليس فيه جزاء كما جاء في الحديث .

فصل

فإذا دخل المسجد ورأى البيت رفع يديه ويقول اللهم أنت السلام ومنك السلام حيّنا ربنا بالسلام اللهم زد هذا البيت تعظيماً وتشريفاً وتكريماً ومهابة الحمد لله الذي يلغني بيته الحمد لله على كل حال .

ثم يشـــرع في الطواف يبتدئ من الحجر الأسود يستقبله ويقول بسم الله والله أكبر اللهم إيماناً بك وتصديقاً بكتابك ووفاءً بعهدك واتباعاً لسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم فإذا فــرغ من الطواف صلى ركعتين خفيفتين يقرأ في الأولى قل يا أيها الكافرون وفي الثانية قل هو الله أحد .

فصل

ثم يخرج إلى الصفا من بابه ويرقى حتى يرى الكعبة ثم يكبر ثلاثاً ويقول لا إله إلا الله وحده لا شــريك له صــدق وعــده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ثم يترل ماشياً إلى الميل الأحضر ثم يُسرع في المشي حتى يبلغ الميل الذي بعده والأولى أن يكون على طهارة ثم إذا فرغ حلق إن كانت عمرة وإلا قصر حتى يبقى شعر ليوم النحر .

ثم يحرم يوم الثامن قبل زوال الشمس يعني المتمتع والمفرد والقارن يبقى على إحرامه إلى يوم النحر فإذا رمى الجمرة الأولى وحلق أو قصر حل له كل شيء إلا الجماع فإذا طاف وسعى حل له كل شيء .

وسمي الثامن يوم التروية لأهم يرتوون من الماء وقيل لأن إبراهيم رأى في المنام ذبح ابنه فلما أصـــبح تروّى وفكر فلما عرف سمي يوم عرفة وقيل أن آدم هبط بالهند وحواء بجدة فجعل يطلبها وهي تطلبه فاجتمعا بعرفة فسميت بذلك والله أعلم .

فصل

ثم بعـــد طـــواف الإفاضة والسعي يرجع إلى منى فيبيت ثلاث ليال ويرمي كل يوم الجمار بـــإحدى وعشـــرين حصاة فيبدأ بالأولى ثم يتقدم عنها يسيراً ويقف ويدعو الله ثم الوسطى كذلـــك يدعوا ثم ا لكبرى ولا يقف ويسن أن يكبر مع كل حصاة ولا بد أن يتقن حصول كـــل حصاة في المرمى ويشرب من ماء زمزم ويدعو قبل شربه كما في الحديث ماء زمزم لما شرب له ويكثر النظر إلى الكعبة بنية كما ورد في الأخبار أن النظر إليها عبادة وفيه أجر .

ثم إن أراد الخروج يودع البيت بطواف سبع ثم يقف بين الباب والحجر الأسود ويدعوا بما أحـــب ويقـــول الـــلهم هذا بيتك وأنا عبدك كما بلغتني وسيرتني وأعنتني فعافني في بدني

واعصمني في ديني وارزقني طاعتك ما أبقيتني واجمع لي بين خيرى الدنيا والآخرة إنك على كل شيء قدير ثم يصلى على النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم وورد أن كثيراً من أحـــل كل منهم يقسم بالله إني دعوت ورأيت الإجابة عياناً ولا سيما آخر الليل وبحضور قلب وهمة لأن من ليس له همة يكون بارد القلب والدعاء والله أعلم .

فصل

وأركـــان الحج أربعة الإحرام يعني النية والوقوف بعرفة والطواف والسعي فهؤلاء لا يجبرن بـــدم والواجبات المبيت بمزدلفة والمبيت بمنى والرمي والحلق وطواف الوداع فإن ترك من الواجب شيئاً جبر بدم كما لو ترك واجباً من واجبات الصلاة جبره بسجود السهو .
والعمـــرة أركانها ثلاثة نية الإحرام والطواف والسعي والسنن مثل تقبيل الحجر الأسود والشرب من زمزم ومس الركن اليماني ودخول الكعبة .

فصل

فـــإذا من الله بالعافية وأراد أن يزور مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فإذا أراد أن يسلم عـــلى النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه فيجعل القبر أمامه والقبلة خلفه ويقول السلام علـــيك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته اللهم صلي على محمد وعلى أل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم آت محمد الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفـــيعة والمقام المحمود الذي وعدته كما بلغ رسالتك وتلى آياتك وجاهد في سبيلك وأمر بطاعتك ونهى عن معصيتك ونصح الأمة وزالت بدعوته الغمة والظلمة .
ثم يمشي عن يمينه ويقول السلام عليك يا صاحب رسول السلام عليك يا أبا بكر ورحمة الله وبركاته ، السلام عليك يا عمر الفاروق اللهم اجز هما عن نبيك وعن الإسلام خيراً واغفر لـــنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ويأتي مسجد قباء وقبور الشهداء كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورهم ولا يحل للمرأة أن تزور مثل الرجال لأن النهي عام ولو كان قبر أو قبرين بأنه عام ولا جاء في النهي تخصيص يخص القبور القليلة دون الكثيرة .

كتاب الآداب

الإبتداء بالسلام سنة مؤكدة ورده آكد من ابتدائه ولا يقول سلام عليكم لأنه كلام غير تام ويسلم الماشي على الجالس والراكب على الماشي والجالس ولا يجوز أن يسلم على مشرك ومجاهر بالمعصية ويستحب للنساء سلام بعضهن على بعض ولا يسلم على الشابة ولا يرد عليها السلام إذا كانت أجنبية منه ولا يهجر المسلم أخاه فوق ثلاث إلا إن كان صاحب بدعة أو معصية كما هجر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الثلاثة وهجر بعض نساءه شهراً صلى الله عليه وسلم .

فصل

ولا ينبغي القيام إلا للإمام العادل والأب والأم وأهل الدين والورع وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا جاءكم كريم قوم فأكرموه ومن الأداب أن يغطي العاطس وجهه ويخفض صوته ويحمد الله ولا يلتفت يميناً ولا يساراً لأنه قد تفترك رقبته وعلى من سمعه يحمد الله أن يقول له يرحمك الله ويرد عليه بقوله يهديكم الله ويصلح بالكم ولا يجوز يشمت المرأة الشابة المحرمة منه إلا عجوزاً ويشمت الصبي ويقول بورك فيك كما جاء في بعض الأخبار .

فصل

في الآداب العشر التي هي من خصال الفطرة وهي خمس منها في الرأس المضمضة والإستنساق والسواك وقص الشارب وإعفاء اللحية .

وخمس في الجسد حلق العانة يعني الشعر الذي فوق الفرج ونتف الإبط وتقليم الأظفار والإستنجاء والختان ويكره حلق الشارب بالموس لأنه مثلة ولأنه جاء في حديث عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (ليس منا من حلق الشارب) ولأنه يذهب بماء الوجه وجماله وفي بقاء بعضه زينة وجمال .

فصل

ولا يجوز نتف الشيب وصبغه بالسواد لأنه نور المؤمن ويستعد للقدوم على ربه وعمارة دار البقاء ورضاءً بقضاء الله تعالى .

وإذا غير الشيب بنتف أو سواد صار غير راضٍ بقضاء الله وموثراً للشباب والطراوة والبقاء على حداثة السن زاهداً في الوقار والتقمص بنور الإسلام وخلقة إبراهيم عليه وعلى نبينا السلام وورد أن الله يستحيى من ذي الشيبة أن يعذبه ويستحب تقليم الأظفار يوم الجمعة مخالفاً يعني يبدأ بالخنصر من اليمنى ثم بالوسطى ثم بالإبهام ثم البنصر ثم السبابة ومن اليسرى يبدأ بالإبهام ثم بالوسطى ثم الخنصر ثم السبابة ثم البنصر هكذا فسره ابن بطة وروي عن علي رضي الله عنه وورد أن فيه شفاء والله أعلم .

فصل

ويستحب الإكتحال وتراً يفي في كل عين وتر أو في كل العين وتراً ويدهن غباً يعني يوم بعد يوم يدهن بزيت الزيتون أو غيره ويستحب للإنسان أن لا يترك سبعة أشياء وهي التنظف والتزين والمكحلة والمشط والسواك والمقص وما يحك به رأسه وجسده من عود أو غيره وقارورة الطيب ويكره الصفير لأنه من أعمال قوم لوط والتصفيق لأنه تشبه بالنساء ويكره الأكل في السوق ومد الرجل بين جلسائه ويكثر العلك لأنه دناءة وتكره القهقهة في الضحك ويكره الأكل على الطريق وينبغي أن يكون مشيه معتدلاً ولا يكثر الإلتفات .

فصل

ويستحب البكاء من خوف الله عز شأنه والندم على ما فات من أوقاته ببطالة ويكره الكلام في الحمام ولا يسلم ولا يرد السلام وهو في الخلاء ويكره كشف رأسه بين الناس ويستحب أن يتناول الأشياء بيمينه الأكل والشرب والمصافحة والأنتعال واللباس ودخول المسجد والبيت والشمال للأشياء المستقذرة مثل الإستنجاء وغيره

فصل

في أداب الأكل والشرب

يستحب له أن يسمي ويحمد الله إذا فرغ وكذا عند الشرب لأن ذلك فيه بركة كما في الحديث (واذكروا اسم الله تعالى يبارك لكم فيه) وإن نسي الإسم في أوله فليقل بسم الله في اولة وآخره كذا روي عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم وينبغي أن يأكل مع العلماء بالتعلم يقتدي بهم ويسألهم ويأكل مع إخوانه بالإنبساط أي لا ينقبض ويتكبر بل يكون فيه خلق وأدآب وإذا كان معه أعمى أخبره بالطعام حتى لا يفوته الطعام الطيب ويجب عليه إجابة دعوة العرس كما في حديث ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم (من دعي فلم يجب فقد عصى الله ورسوله)رواه مسلم .

وإن كان هناك منكر فلا يجلس إذا لم يمكنه الإنكار وذلك مثل الغناء في جميع أنواعه لأنه محرم في القرآن والسنة قال تعالى {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ } (٦) سورة لقمان

وكان عبد الله بن مسعود صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم أنه الغناء، وجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت السيل البقل) يعني العشب، وسئل الشبلي عن الغناء فقال فما بعد الحق إلا الضلال.

ثم يكفي في تحريمه ما فيه من ثوران الشهوة والميل إلى النساء والمردان وأباطيل النفوس والطرب والسخف والدناءة وما لا يحاط به والله أعلم .

فصل

ودعوة الختان يعني الطعام ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم استحبابه ويكره لأهل العلم والفضل في الجملة التسرع إلى الإجابة ولا سيما إذا كان قاضياً ويحرم أن يدخل إلى طعام وهو لم يُدع إليه لما فيه من الذلة والدناءة وقيل ما وضع أحد يده في قصعة أحد إلا ذل له .

ومن أداب الطعام أن لا ينظر إلى وجوه الآكلين ولا يتكلم فيما يضحكهم خوفاً عليهم من الشـــرق ولا بما يحزنهم لئلا يُنغّص عليهم ويستحب غسل اليدين بعده ويكره قبله وقيل لا يكـــره، ويكـــره رد الهدية وإن قلت ويجتهد في المكافأة أو الدعاء له لفعله صلى الله عليه وسلم وقوله :

ويدعـــو بعـــد الفـــراغ من الأكل ويقول اللهم بارك لهم في طعامهم وشرابهم واغفر لهم وارحمهم .

فصل

في آداب دخول الخلاء

أول ما يريد الدخول يُبعد عنه كل ما فيه اسم الله أو فيه قرآن ثم يقول بسم الله اللهم إني أعوذبك من الخبث والخبائث ويقدم اليسرى ويجعل القبلة يمينه أو يساره وإن استقبل القبلة أو جعـــلها خلفـــه حرم ويتوب ولا يعود ولا يتكلم ولا يسلم ولا يرد السلام وهو على حاجـــته ويحمد الله في قلبه إذا عطس ولا يبول في جحر ولا في رماد ولا على طريق الناس ولا في كـــناس قـــديم قد يكون فيه جن فيناله شرهم، وآداب قضاء الحاجة كثير روي أن رجلاً قال لبعض الأعراب من الصحابة هل تحسن الخلاء قال نعم لعمري قال صفه لي قال أبعـــد الأثر واستقبل الشيح يعني الشجر واستدبر الريح واقعي إقعاء الظبي واجفل إجفال النعام.

وإذا أراد الإستنجاء بالماء ينبغي له أن يسترخي قليلاً ليكون أكمل في النظافة والطهارة .

فصل

واســـتعمال الماء أولى في الجملة لكمال النظافة وقيل إن ناس من الشعراء لا يستنجون بالماء لأن كلام الخناء والفحش يسبب ذلك والله أعلم .

ونعـــوذ بـــالله من كلام يثمر القذر والنتن لأن كل شيء يناسب شكله وهذا بين لمن تأمل وتفكره، وكل ما خرج من السبيلين يجب عليه الإستنجاء إلا الريح والذي يخرج من الذكر أربعـــة أشـــياء الـــبول والمذي والودي والمني وكل واحد له حكم، المذي يخرج عند تحرك

الشـــهوة والودي أبيض يخرج بعد البول وقد يكون نادر خروجه ، والمني معروف حكمه وكل إنسان تكمل طهارته ونظافته تخف روحه إذا كان من أهل التقوى

فصل

في كيفـــية الغسل من الجنابة وهو ما وصف من غُسل النبي صلى الله عليه وسلم وهو أن يـــنوي بقلبه ويغسل عورته فإذا فرغ ضرب بيده اليسرى الأرض أو الجدار ثلاثاً ثم يتوضأ مثل وضوئه للصلاة ثم يفيض الماء على جميع بدنه أربع غرفات بيديه بعد ما يغسل رأسه ولا يزيد ويتبع مغابن البدن مثل ما تحت الإبط والركبتين وغير ذلك لأن تحت كل شعرة جنابة ثم يقـــول بعـــد ذلك مثل ما يقول بعد الوضوء والغسل عبادة مستقلة والحكمة أن البدن يتخلل بعد خروج المني فإذا اغتسل عادت قوة البدن إليه وهذا من أسرار الشريعة المطهرة التي يحرم إياها كل ملدد حيران .

فصل

في آداب اللباس

وهو على أضرب منها محرم مثل المغصوب والمسروق ومحرم لذاته مثل الحرير ويباح للحاجة ويباح للنساء ، ومن اللباس المحرم الإسبال عمداً وخيلاء ويحرم كل لباس يخالف زي العرب ويشـــابه زي الأعـــاجم وكذلك يكره التلطم وهو يصلي وأفضل اللباس البياض كما في الحديث خير ثيابكم البياض .

فصل

في آداب النوم

يســـتحب لمن أراد النوم أن يطفئ سراجه ويغطي ماعونه ويغلق بابه ثم يسمي ويسن له أن يتوضـــأ ويـــورد ويقـــرأ آية الكرسي بحضور قلبٍ والمعوذتين وآخر سورة البقرة وكلما استيقض يذكر الله حتى يغلبه النوم وإذا حلَم بما يكره يتفل عن يساره ثلاث مرات ويتعوذ من الشيطان الرجيم فإنها لا تضره إن شاء الله تعالى .

فصل

ومن الأدب إذا خرج من منزله قال بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله ، وإذا أراد دخول المسجد فليقدم رجله اليمنى ويقول بسم الله اللهم صلى على محمد اللهم اغفرلي وافتح لي أبواب رحمتك ويسلم على من كان في المسجد ثم لا يجلس حتى يصلى ركعتين وإذا أراد الخروج قدم رجله اليسرى ويقول اللهم صلى على محمد وافتح لي أبواب فضلك ، ويستحب له أن يكون في جميع أحواله على وضوء لأن فيه حديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دُم على طهور في عمرك وصلى بالليل والنهار ما استطعت تحبك الحفظة والله أعلم .

وإذا دخل بيته يقول السلام عليكم ما شاء الله لا قوة إلا بالله فقد ورد في هذا خبر وإن قرأ آية الكرسي فهو كمال فقد ورد عن بعض السلف والله أعلم .

فصل

في أدآب طلب المعيشة

ورد في حديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من طلب الدنيا حلالاً واستعفافاً عن المسئلة وسعياً على أهله وتعطفاً على جاره بعثه الله يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر ومن طلب الدنيا حلالاً مكاثراً مفاخراً مرائياً لقي الله يوم القيامة وهو عليه غضبان وقال ثابت البناني رحمه الله العافية في عشرة أشياء تسعة في طلب المعيشة وواحد في العبادة .

وورد عنه صلى الله عليه وسلم إن الله يحب كل مؤمن محترف أبا عيال ولا يحب الفارغ الصحيح لا في عمل الدنيا ولا في عمل الآخرة والله أعلم .

وكان داوود عليه السلام يأكل من عمل الدروع وسليمان يأكل من عمل الخوص وموسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام يرعيان الغنم .

في آداب خلطة الناس

وجاء في الحديث ورجل اعتزل يكف عن الناس شره وفي بعض الألفاظ قال صلى الله عليه وسلم الغريب هو الذي يفر بدينه ، وقال سفيان الثوري في زمانه : هذا زمان السكوت ولزوم البيوت والرضى بالقوت والمتكلم بالحق يموت يعني يقتل : وقال وهيب الوردي خالطت الناس خمسين سنة فما وجدت أحداً غفر لي زلّه يعني لم يسامحني إذا خالفته بشيء ولا ستر عوره يعني أنه يعلم الناس ويفضحني ولا جليس أسلم من كتاب .

قال الشاعر

وخير جليس المرء كتب تفيده ... ويسلم دين المرء عند التوحيد

وقال الآخر

أنست بوحدتي ولزمت بيتي ... فطاب الأنس لي وصفى السرور

فلست بسائل ما دمت يوماً ... أسار الجيوش أم ركب الأميرو

فصل

ومن الرعونة مجالسة أهل البطالة والفارغين لا في دين ولا دنيا لأن من جالس السفيه سفه معه ومن جالس أهل العلم زاد عقله وانشرح صدره وذهب شيطانه ونظر إليه بعين الإجلال وجاء في حديث من أكثر الإختلاف إلى المسجد يعني يذهب ويرجع : أصاب أخاً مستغفراً ورحمة منتظرة وكلمة تدل على هدى وأخرى تصرف عن ردى وعلماً متطرفاً .

فصل

في آداب السفر والصحبة

إذا أراد سفراً حجاً كان أو غيره فأول ما يفعل يصلى ركعتين ثم يقو ل قبل السلام أو بعده اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل والمال والولد اللهم هون علينا السفر واطو لنا البعد اللهم إني أعوذبك من وعثاء السفر وكآبة المنظر وسوء المنقلب في الأهل

والمـــال والولـــد وإذا كان مع إخوانه في السفر فتكون معاملته لهم بالتواضع ولين العريكة وحسن الخلق ولزوم الصمت وترك ما لا يعنيه .

ويستحب أن يكون سفره في أول النهار وأن يكون يوم الخميس أو الاثنين وإذا ركب قال سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون، وإذا رجع إلى بلده قال آيـــبون تائبون عابدون لربنا حامدون ثم يبدأ في المسجد قبل بيته ويصلى ركعتين لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يفعله وفيه حكم وأسرار .

فصل

ويجوز قتل الحية إذا كانت في البر وإما إذا كانت في البيوت فلا تقتل ولا يجوز قتل نمل ولا بق ولا قمل ولا براغيث في النار كما ورد أن نبياً قرصته نملة فأمر بقرية النمل فأحرقت إلى آخـــر الحديث فإذا كان الذي أسقى كلباً عطشاناً غفر له فكيف الذي يحرق الأرض التي فيها دبيب كثير نسأل الله العافية والله أعلم .

فصل

ومن أرفع الأخلاق وأجملها بر الوالدين

قـــال تعالى { فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا} (٢٣) سورة الإسراء ، وقا ل تعالى { وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا } (١٥) سورة لقمان

وقال ابن عباس من أصبح مسخطاً لوالديه وله بابان من النار (الخ)

وإن أمـــراه بفعـــل محـــرم أو ترك واجب فلا يطعهما وإن أمرا بترك النوافل فيجوز تركها لطاعـــتهما ولا يسافر سفراً إلا بأمرهما ومن برهما اختيار أطيب الطعام واللباس لهما لأنهما طال ما آثراك بأطيب ما يجدان ، ومن برّ بوالديه بره ولده وبنته قال بعضهم من برّ بُر ومن عقّ عُق ومن وقر العلماء وقره تلاميذه ومن هان في قلبه حقهم وتوقيرهم هان على الناس ، قـــال بعضـــهم رأيت رجلاً ضرب أباه في موضع وسحبه فقال رجل واقف أنا رأيت هذا المضروب ضرب أباه في هذا الموضع وسحبه .

فصل

ومن الآداب السامية كف الغضب

يستحب لمن غضب إن كان قائماً جلس وإن كان جالساً اضطجع وأن يمس ماءً بارداً لأنه يسكن الغضب كما ورد أنه يتوضأ ويكره للإنسان أن يجلس عند قوم بينهم سرّ إلا بعد الإذن ويكره الجلوس بين الظل والشمس ويكره الإتكاء على يده اليسرى ويكره أن يضطجع بين الجالسين وإذا قام من مجلسه يقول سبحان اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله الله أستغفرك وأتوب إليك ، كما جاء في الأحاديث ويكره المشي في النعلين في المقبرة بين القبور إلا إذا كان عليه مشقة إما شوك أو حرّ الأرض ويستحب لمن دخل المقبرة أن يقول السلام عليكم أهل ديار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون يرحم الله المستقدمين والمستأخرين نسأل الله لنا ولكم العافية اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تضلنا بعدهم وإذا زار قبراً يعرفه أولا يعرفه يستقبل وجهه مثل الحي ولا يستقبل القبلة ولا يرفع يديه ولا يجوز قرآءة القرآن في المقبرة ولا يهجر زيارة القبور .

فصل

ويستحب الورد وهو حصن حصين للمسلم كما ورد عنه صلى الله عليه وسلم من قال حين يمسى ثلاث مرات أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم تضره حمه يعني قرصه تلك الليلة .

وإذا أصاب أحد بعينه يعني نحته فعليه أن يغسل وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وداخل إزاره ويجعل في ماعون ثم يصب على المنحوت من فوق رأسه ، جاء في الحديث في قصة عامر بن ربيعة .

والتداوي في المحرم لا يجوز من الخمر والسم والميتة ولبن الحمار والدم ونحو ذلك وتحرم الطيرة ولا يرجع عن حاجته ويستحب الفال وهو إن حصل له ما يسر به ويقول هذا خير ويستحب التواضع وعدم الصعوبة والحمق ويستحب توقير أهل العلم والشيوخ ورحمة الصغير واليتيم .

فصل

ولا يجوز أن يخلو بامرأة ليست له محرم لأن ثالثهما الشيطان ويستحب إذا نظر في المرآت أن يقول الحمد لله الذي سوى خلقي وحسّن صورتي وإذا طنّت أذنه يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ويقول ذكر الله من ذكرني بخير، لأنه ورد في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم وإذا أوجعه شيء من بدنه أو غيره من المسلمين أن يقول (ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك أمرك في السماء والأرض كما رحمتك في السماء اجعل رحمتك في الأرض اغفر لنا حوبنا وخطايانا أنت رب الطيبين أنزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفاءك على هذا الوجع فيبرأ . ويستحب إذا رأى جمعاً من المشركين أو من اليهود أو النصارى أن يقول أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له واحداً لا نعبد إلا إياه فإن في هذا حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم والله أعلم .

فصل

وإذا سمع صوت الرعد يقول اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهنا بعذابك وعافنا قبل ذلك ويقول إذا هب الريح اللهم إني أسألك خير هذه الريح وخير ما أُمرت به وأعوذبك من شره وشر ما أمرت به وإذا دخل السوق الذي يباع فيه ويشترى يقول ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : اللهم إني اسألك خير هذا السوق وخير ما فيه وأعوذبك من شره وشر ما فيه اللهم إني أعوذبك أن أصيب فيه يميناً فاجره أو صفقة خاسرة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيد الخير وهو على كل شيء قدير ولا يرفع صوته وإذا رأى هلال الشهر يقول اللهم أهلّه علينا باليمني والإيمان والسلامة والإسلام ربي وربك الله والله أعلم .

وإذا رأى مبتلى قال الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به وفضلني عليك وعلى كثير ممن خلق تفضيلاً فإن الله يعافيه منه ما عافاه، ويقول إذا وصل الحجاج تقبل الله حجكم وأعظم أجركم وأخلف نفقتكم ، روي عن عمر رضي الله عنه كان يقول ذلك ، وإذا عاد مريضاً

ينبغي له أن يذكره التوبة من جميع الذنوب والمنكرات ويأمره بالوصية بثلث ماله في وجوه الخير .

ويقول حين يضع الميت في قبره ما روي عنه صلى الله عليه وسلم بسم الله وعلى ملة رسول الله ويسن له أن يحثي ثلاث حثيات من جهة رأس الميت ثم يعزي أقاربه وأحبابه ويقول أحسن الله عزاك وغفر لميتك ويقول هو تقبل الله دعاءك ويصافحه ولا يقبل رأسه لأن ذلك ما ورد والله أعلم .

فصل

في آداب النكاح

ويتعين أن يكون نيته إحصان فرجه وغض بصره والزواج واجب في رواية عن الإمام أحمد وقال صلى الله عليه وسلم من تزوج فقد أحرز نصف دينه، ويختار البكر الحسيبة العفيفة وتكون أجنبية يعني من غير أقاربه حتى ما يقع بينهم عداوة فتؤدي إلى قطيعة رحم ولهذا منع الشرع الجمع بين الأختين ولا ينبغي أن يتزوج بذية اللسان ولا التي قد خُلعت من زوج ، وله أن يحسن خلقه معها ولا يشتم إياها ولا أمها وإذا صار منها سوء خلق أو غير ذلك من العيوب فيبتهل إلى الله بالدعاء والتضرع ويلجأ إلى الله . وروي جابر ابن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (إذا خطب أحدكم المرأة فإن استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل)

فصل

ويستحب أن يخطب بخطبة ابن مسعود رضي الله عنه وقد روى عن الإمام أحمد رحمه الله أنه حضر زواجاً ولم يسمع خطبة ابن مسعود خرج وانصرف وهي : الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ويقرأ أول سورة النساء إلى قوله (كان عليكم رقيباً) وقوله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا} (٧٠) سورة الأحزاب ، إلى فوزاً عظيماً .

ويستحب أن يضف إليها قوله جلا وعلا (وأنكحوا الأيامى منكم) الآية
ومن لم يكن فيه شهوة لا يجوز له حبس المرأة لأن لها حق في الجماع وقد ورد خبر أن المرأة تزيد شهوتها على الرجل بتسعة وتسعين إلا أن الله ألقى عليها الحياء والله أعلم .

فصل

وجاء في الحديث خيار الرجال من أمتي خيارهم لنساءهم وخير النساء من أمتي خيرهن لأزواجهن وخير الرجال من أمتي من تلطف بأهله لطف الوالدة بولدها .
ويستحب بعض العلماء أن يكون العقد يوم الجمعة أو الخميس وآخر النهار أولى من أوله ويقول الحاضرون بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما في خير .
وجاء رجل إلى ابن مسعود فقال إني تزوجت بكراً وقد خفت أن تكرهني أو تفرّ مني فقال له إن الإلفة من الله فإذا دخلت عليها فقل اللهم اجمع بيننا في خير .
وعند الجماع يقول : بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، وإذا فرغ من الجماع ينتظر حتى تقضي شهوتها وإلا صار سبب للبغضاء والمفارقة والله أعلم .

باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

قال تعالى { الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} (١١٢) سورة التوبة
وهذا مدح من الله عز شأنه لأهل هذا الشأن العظيم .
وقد ذم الله الأحبار من اليهود والرهبان ولعنهم لما ضيعوه قال تعالى {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ} (٧٨) سورة المائدة إلى قوله {كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ} (٧٩) سورة المائدة
وإذا أمر الإنسان نجّى نفسه ونفع غيره وإذا ترك مع القدرة ضرّ غيره وحمل على نفسه الإثم وصار سبب لموت القلب والله المستعان .

فصل

وقـــد شـــرط النبي صلى الله عليه وسلم القدرة على ذلك إذا كانت الغلبة لأهل الصلاح وعدل السلطان ومعاونة أهل الخير ، وأما إذا كان الإنكار تعزيراً بالنفس ولحوق ضرر فلا يجـــب علـــيه ذلك لقوله تعالى { وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} (١٩٥) سورة البقرة

وقـــد ورد أن بعض الصحابة قال إذا رأى أحدكم منكراً لا يستطيع أن ينكره فليقل اللهم إن هذا منكر ثلاث مرات فإذا قالها كان له ثواب من أمر ونهي والله أعلم .

فصل

وإن غلب على ظنه أنه إذا أنكر لا يزول المنكر فهل ينكر أو لا ، على روايتين عن أحمد أحدهمـــا أن تـــركه أولى، ويشـــترط له خمسة شروط أولها : أن يكون عالماً بما يأمر وينهى والـــثاني: أن يكـــون قصـــده وجه الله وإعزاز دينه ، الثالث : أن يكون باللين والتودد لا بألفظاظـــة والغلظة ، الرابع : أن يكون صبور حليماً زائل الهوى يداوى مريض، الخامس : أن يكون عاملاً بما يؤمر **متنزهاً** عما ينهى عنه

وقال الشاعر

لا تنهى عن خلق وتأتي مثله   عار عليك إذا أتيت عظيم

وقـــال قتادة : مكتوب في التوراة إن ابن آدم يذكّر بي وينساني ويدعو إليّ ويفرَ مني وباطل ما تُرهبون .

والأولى أن ينصحه في خلوة من الناس ليكون أبلغ في الموعظة والنصيحة ، قال أبو الدرداء رضي الله عنه : من وعظ أخاه بالعلانية فقد شانه ومن وعظه سراً فقد زانه .

ولما سمع عمر رضي الله عنه رجلاً يقرأ آية في النهي عن المنكر قال إن لله وإن إليه راجعون من يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر يقتل .

فصل

وينبغي لكل من المؤمنين أن يعمل بهذه الآداب المتقدمة في الأمر والنهي وغير ذلك ، وقال عمر رضي الله عنه تأدبوا ثم تعلّموا وقال عبد الله ابن المبارك رحمه الله إذا سمعت برجل له أدب أتمنى لقائه وآسف على فواته .

ويقال مثال الأدب مثل حصن له خمسة حيطان من ذهب والثاني من فضة والثالث من حديد والرابع من آجر والخامس من طين ، فإذا حفظ الذي من طين لم يطمع العدو فيما بعده وإن أُهمل طمع العدو في الحيطان .

فما دام العبد يحفظ الأدب فلا يطمع الشيطان به. وهذا آخر ما اخترنا وأردنا ولخصنا من آداب الشريعة للمسلمين ويبقى عليه حقيقة اليقين بالصانع عز شأنه وهو من أعمال القلوب فنقول وبالله الإعانة .

باب ما يوجب اليقين ومعرفة الصانع

وهو أن يعلم وتيقن أنه فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ليس كمثله شيء وهو السميع البصير لا شبيه له ولا نظير قاهر حاكم قادر رحيم غافر ساتر أول آخر ظاهر باطن جواد لا يبخل حليم لا يعجل حفيظ لا ينسى خلق آدم بيديه وغرس جنة عدن بيده وكتب التوراة بيده وناولها موسى من يده إلى يده .

وأن الله سبحانه خلق سبع سموات بعضها فوق بعض وسبع أراضين بعضها أسفل من بعض ومن الأرض العليا إلى السماء الدنيا خمسمائة عام وهكذا كل سماء وعرش الرحمن فوق الماء والله تعالى على العرش استوى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وقال صلى الله عليه وسلم لما خلق الخلق كتب كتاباً على نفسه وهو عنده فوق العرش إن رحمتي غلبت غضبي .

فصل

والقرآن كلام الله وكتابه وخطابه ووحيه الذي نزل به جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال عز شأنه {نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ} (١٩٣) سورة الشعراء، وهو كلام الله وصفة من صفاته غير محدث ولا مبدل ولا مغير ولا مصنوع وهو كلام الله في صدور

الحافظين وألسن الناطقين في أكُفَّ الكاتبين وملاحظ الناظرين ومصاحف المسلمين وألواح الصبيان وقال ابن خزيمة رحمه الله لكلام الله متواصل لا سكوت فيه ولا صمت وقيل لأحمد رحمه الله هل يجوز أن أقول أن الله يجوز عليه السكوت فقال نقول أن الله عز شانه لم يزل متكلماً ولو ورد أنه سكت لقلنا به وقد قال الإمام أحمد في رسالته إلى أهل نيسابور وجرجان : أن من قال حروف الهجاء محدثة فهو كافر بالله .

وقال الشافعي رحمه الله لا نقول بحدوث الحروف فإن اليهود أول ما هلكت بهذا .

ونعتقد أن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة وهي في سور القرآن .

خمسة في الفاتحة وستة وعشرون في البقرة وأربعة في آل عمران وستة في النساء وخمسة في الأنعام وسبعة في هود واثنان في الرعد واسم واحد في إبراهيم وواحد في الحجر وواحد في النحل واسمان في مريم وواحد في المؤمنين وفي النور ثلاثة وفي الفرقان واحد وفي سبأ واحد وفي المؤمن أربعة وفي الذاريات ثلاثة وفي الطور واحد وفي اقتربت واحد وفي الرحمن واحد وفي الحديد أربعة وفي الحشر عشرة وفي البروج واحد وفي قل هو الله أحد اثنان هكذا ذكره سفيان ابن عيينة .

قال الإمام أحمد من قال الإيمان مخلوق فهو كافر ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع لأن إماطة الأذى عن الطريق فعل غير مخلوقة فقد أنكر أحمد على الطائفتين ولا يجوز للإنسان أن يقول مؤمن بل يقول إن شاء الله خلاف المعتزلة .

وقال رجل عند ابن مسعود أنا مؤمن فقيل لابن مسعود إن هذا يزعم أنه مؤمن فقال اسألوه أفي الجنة هو أم في النار فقال الله أعلم فقال عبد الله فهلا وكلت الأولى كما وكلت الأخرى .

ولا يعلم أحد بما يختم له فينبغي أن يكون خائفاً راجياً مصلحاً خذراً مترقباً حتى يأتيه الموت وهو على خير عمل وإن الناس يموتون على ما عاشوا عليه كما جاء في الخبر تعيشون وتبعثون على ما تعيشون .

ونعتقد أن أفعال العباد خلق لله وكسب لهم خيرها وشرها وإنما أثبتنا للعباد كسباً لتوجه الأمر والنهي إليهم واستحقاق الثواب والعقاب لديهم .

قال تعالى { جَزاء بمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (١٧) سورة السجدة، وقال تعالى {سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ } (٢٤) سورة الرعد، وقال تعالى {مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ، قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ} سورة المدثر ٤٢-٤٣

إلى غـــير ذلك من الأيات وعن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله قال (أنا خلقت الخير والشر وطوبى لمن قدرت على يديه الخير وويل لمن قدرت على يديه الشر)

ونعتقد أن المسلم لا يكفر وإن أذنب كثيراً إذا مات على التوحيد إن شاء الله عفى عنه وإن شـــاء أدخلـــه جهنم والنار في حق العصاة مثل السجن في الدنيا على قدر الجريمة ثم يخرج برحمة الله ولا ينقطع طمعه من رحمة الله تعالى بخلاف ما تقوله القدرية والخوارج تباً لهم .

فصل

ونؤمـــن بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه عز جلاله وقال ابن عباس رضي الله عنه كانت الخلّة لإبراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد صلى الله عليه وسلم .

وقال أبو بكر بن سليمان: رأى النبي محمد صلى الله عليه وسلم ربه إحدى عشر مرة منها بالسنة تسع وفي القرآن مرتين والله أعلم .

ونؤمـــن أن منكراً ونكير حق وينزلان إلى كل أحد إلا النبيين وترجع الروح إلى الميت فإذا سئل خرجت منه الروح بلا ألم ، وروى عطاء بن يسار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر ابن الخطاب، كيف أنت يا عمر إذا أُتخذ لك من الأرض ثلاثة أذرع وشبر من عرض ذراع وشبر ثم مال إليك أهلك فغسلوك وكفنوك وحنطوك ثم حملوك ثم يغيبوك فيه ثم أتاك سائل القبر قال يا نبي الله يكون معي قلبي قال نعم قال إذن أكفيهما .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال إن المؤمن إذا وضع في قبره وسع عليه وإن كان معه قرآن كفاه نوره وإن لم يكن معه قرآن جعل له نور مثل نور الشمس .

والكافـــر يضيق عليه قبره ويرسل عليه شياطين صم بكم عمي وقيل هو الشيطان الرجيم ومعهم فطاطيس من حديد فيضربونه بها نعوذ بالله .

فإن اعترض معترض فقال كيف المحترق، والذي اكلته السباع فتغرق لحمه ، فيقول النبي صلى الله عليه وسلم ذكر عذاب القبر على ما هو معهود وعادة عند الناس .

وإن وجد على هذه الصفة النادرة لا يمتنع أن الله يُصَيِّر روحه إلى الأرض ثم يضغط ويسأل ويعذب أو ينعم ويجوز أن يقع العذاب أو النعيم على بعض الجسد دون بقيته وقيل إن الله يجمع تلك الأجزاء المتفرقة للضغطة والمسألة والله أعلم .

فصل

والشفاعة في أهل الذنوب ثابتة في القرآن والسنة وأول الشفعاء نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قبل دخول النار وبعدها كما ورد يقول يا رب أمتي أمتي فلا يزال يرجع إلى ربه فيقول إذهب فانظر فمن وجدت في قلبه مثقال حبة من الإيمان فأخرجه ثم يقول الأنبياء ارجع إلى ربك فأقول قد رجعت إلى ربي حتى استحييت وعن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول إبراهيم يوم القيامة يا رباه فيقول الله عز شأنه يا لبيكاه فيقول احترقت بني آدم فيقول أخرجوه من كان في قلبه مثقال برة أوشعيرة من الإيمان وعنه صلى الله عليه وسلم قال يؤتى بالرجل ويؤتى بتسعة وتسعين سجلاً فترجح السيئات ثم يصيح صائح من عند الرحمان عز شأنه لا تعجلوا لا تعجلوا فيؤتى بمثل رأس الإبهام فيها شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله فتثقل حسناته فيدخل الجنة .

وجاء في وصف الصراط عنه صلى الله عليه وسلم أن طوله ثلاثة الآف سنة من سنين الآخرة .

وأهل السنة يعتقدون أن لرسول الله صلى الله عليه وسلم حوضاً يسقى منه المؤمنون دون الكافرين وكذلك لكل نبي حوض إلا صالح عليه السلام فإن حوضه ضرع ناقته .

وروي عن أنس يرفعه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كذب بالحوض لم يكن له فيه نصيب .

وأهل السنة يعتقدون أن الله عز وجل يُجلس نبيه محمد صلى الله عليه وسلم معه على العرش يوم القيامة كما ورد عن عائشة رضي الله عنها أنها سألت رسول الله صلى الله عليه

وسلم عن المقام المحمود فقال وعدني ربي القعود على العرش وكذلك عن عمر وعن عبد الله بن سلام وكذا عن عبد الله بن عمر .

وقال الحجاج في حديثه إذا كان يوم القيامة ترى الجبار وقدماه على الكرسي ويؤتى بنبيكم صلى الله عليه وسلم ويقعد بين يديه فقالوا للحميدي إذ كان على الكرسي فهو معه قال نعم ويلكم هو معه .

فصل

ويعتقد أهل السنة والجماعة أن الله يحاسب الخلق يوم الحساب ومعني المحاسبة تعريف الله عبده بمقادير ثواب الأعمال وعذابها بقرآءة سيئاته وحسناته ويعتقد أهل السنة والجماعة إن لله ميزان يزن فيه الأعمال وأنكر ذلك المعتزلة والمرجئة والخوارج وقالوا معناه العدل وفي القرآن والسنة تكذيبهم قال تعالى {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ } (٤٧) سورة الأنبياء، وقال صلى الله عليه وسلم الميزان بيد الرحمن يرفع أقواماً ويضع آخرين يوم القيامة رواه النواس بن سمعان الكلابي .

فصل

ويعتقد أهل السنة والجماعة قاطبة أن محمداً صلى الله عليه وسلم سيد الأولين والآخرين وأنه مبعوث إلى الناس كافة وأن له معجزات كثيرة عظيمة من أعظمها القرآن الكريم وأما كون معجزة موسى عليه السلام العصا لأنه في زمان السحرة الحذاق فلما رأو العصا بطل سحرهم ومعجزة عيسى عليه السلام إحياء الموتى لأنه في زمن الأطباء الحذاق فبهرهم في إحياءه الموتى وإبراء الأكمه والأبرص ، ومعجزة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ما في القرآن من البلاغة وضرب الأمثال لأن العرب في غاية من البلاغة في أساليب اللغة .

فصل

ويعتقد أهل السنة والجماعة أن محمداً صلى الله عليه وسلم خير من جميع الخلق وأمته خير الأمم وأفضلهم أهل القرن الذين شاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم وآمنوا به وصدقوه وبايعوه وفدوه بأنفسهم وأموالهم وأفضل أهل هذا القرن أهل الحديبية وهم ألف وأربعمائة

ثم أهـــل بدر وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر ثم الأربعون أهل دار الخيزران الذين كملوا بعمر بن الخطـــاب ثم العشرة قال تعالى { مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ } (٢٩) سورة الفتح ، كزرع أخرج شطأه هو محمد صلى الله عليه وسلم فآزره بأبي بكر فاستغلظ بعمر فاستوى على سوقه عثمان يعجب الزراع بعلي والله أعلم .

وأجمعوا على أن معجزات الأنبياء حق وكرامات الأولياء حق كما في قصة أصحاب الكهف وقصة مريم والأحاديث لا تحصى كثيرة .

فصل

ومما يعتقد أهل السنة والجماعة السمع والطاعة لأئمة المسلمين البر والفاجر والعادل والجائر مـــن أهـــل القـــبلة والملة وأن الغلاء والرخص من قبل الله عز شأنه لا من الملوك ولا من الكواكـــب كما جاء عنه صلى الله عليه وسلم أن الغلاء والرخص جند من جنود الله اسم أحدهما الرغبة والآخر الرهبة فإذا أراد الله أن يغليه قذف في قلوب التجار الرغبة فحبسوه وإذا أراد رخصـــة قذف في صدورهم الرهبة فأخرجوه والله هو المتصرف في الكون بما شاء فطوبى لمن عافاه ربه من شبك حقوق بني آدم اللهم منا علينا يا كريم .

فصل

والأولى لـــلمؤمن الكيس أن يتبع ولا يبتدع ولا يغالي ولا يتعمق ويتكلف خشية أن يضل وهـــو لا يـــدري ويموت ويلاقي ربه على هذا ، قال ابن مسعود رضي الله عنه اتبعوا ولا تبـــتدعوا فقد كفيتم وقال معاذ إياك ومغمصات الأمور وأن تقول للشيء ما هذا ولما بلغ مجاهد قول معاذ قال قد كنا نقول للشيء ما هذا فأما الآن فلا .

فعلى المؤمن اتباع السنة ولا يكاثر أهل البدع ولا بدينهم ولا يسلم عليهم قال الإمام أحمد مـــن سلم على صاحب بدعة فقد أحبه ولا يجالسهم ولا يقرب منهم ولا يهنيهم في الأعياد وغيرهـــا ولا يصـــلي عليهم إذا ماتوا بل يعاديهم لله لأنهم يرون أن الإسلام يحتاج إلى تمام وقال سفيان ابن عيينة من تبع جنازة مبتدع لم يزل في سخط الله .

فصل

واعلم أن لأهل البدع علامات يعرفون بها

منها الوقيعة في أهل العلم ومنها تسميتهم أهل الأثر بالحشوية وهذه زندقة ومن علامات القدرية تسميتهم أهل العلم مجبرة ومن علامات الجهمية تسميتهم أهل السنة مشبهة وعلامة الرافضة يسمون المسلمين نواصب .

واخوانهم الذين بعدهم يسمون أهل الخير إسامي لأجل النفره عنهم ولأجل يضحكون منهم قال تعالى {فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ} (١١٠) سورة المؤمنون . ولا يضرهم ولا يلتصق بهم ما قالوه كما أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يلتصق به ما قاله أهل مكة أنه ساحر أو مسحور أو مجنون أو كاهن أو شاعر أو مفتون وهو لم يكن اسمه عند الله وملائكته وانسه وجنه كذلك بل هو رسول الله حق صلى الله عليه وسلم .

فصل

ولا يجوز أن يوصف الله عز شأنه بما يستحيل إضافته إليه مثل الجهل والشك والظن والسهو والنسيان والسنه والنوم والغفلة والعجز والموت والخرس والشهوة والغيظ والحزن والتأسف والحسرة واللذة والتمني والعزم والكذب ولا أنه تحت ولا قدام ولا خلف ولا كيف لأن جميع ذلك ما ورد به الشرع إلا أنه على العرش استوى على ما ورد في القرآن والسنة من غير تكييف ولا تشبيه، ولا يجوز أن يسمي فاضلاً ولا عتيقاً ولا فقيهاً ولا فهيماً ولا فطناً ولا محققاً ولا عاقل ولا موقراً ولا عاديَاً لأن ذلك نسبة إلى عاد ولا يجوز وصفه بالمباشرة ولا وصفه بالمكتسب ولا بالقديم .

وأما الصفات التي يجوز أن يوصف الله بها كثيرة في الكتاب والسنة مثل الفرح والضحك والغضب والسخط والرضاء ويجوز وصفه بأنه موجود وأنه باق وأنه مطلع وأنه ديان وأنه مقدر وأنه شفيق بمعنى الرحمة وأنه رفيق وأنه قائل ومتكلم ومنعم وأن هذه صفات كمال وإحسان .

وأمـا الصـفات السلبية التي تُسلب عن الله وهي صفات نقص بحق الله وصفة كمال بحق المخلـوق وتكـون منفصلة مثل الولد والصاحبة فهذه نقص بحق الله وكمال بحق المخلوق وصفات متصلة مثل السنَة والنوم والغفلة والنسيان والموت والضر وغيرها .

فصل

في بيان الفرق الضالة عن الهدى

وهـي اثـنان وسبعين فرقة وأصلها عشر فرق أهل السنة فرقة واحدة والخوارج والمرجئة والشيعة والمشبهة والقدرية والأشاعرة والكلابية والزيدية والنجارية ، الخوارج خمسة عشر فـرقة والمرجئة اثنا عشر فرقة والشيعة اثنان وثلاثون فرقة والمشبهة ثلاث فرق والنجارية فرقة واحدة .

والمرجـئة يلقـبون أهل السنة أنهم شكاكية والرافضة يسمون أهل السنة ناصبيّة والجهمية والـنجارية يسمون أهل السنة مشبهة لإثباتهم الباري عز شأنه، والخوارج لهم ألقاب لأنهم خـرجوا عـلى علي رضي الله عنه وسموا حكميّة لإنكارهم الحكمين وحرورية لسكونهم حرورى .

باب

وأما الإتعاظ بمواعظ القرآن والألفاظ النبوية نذكر إن شاء الله مجالس منها

المجلس الأولى : في قوله تعالى {فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ} (٩٨) سورة النحل

اعـلم أن هذه الآية في سورة النحل مكية إلا ثلاث أيات من آخرها وقال بعض المفسرين كان سبب نزول هذه الآية حين قرأ النبي صلى الله عليه وسلم سورة النجم وألقى الشيطان في أمنيته تلك الغرانيق العلى ففرح المشركون والغرانيق الذكور من الطيور لكونها تعلوا في السـماء وقيل طير أبيض والشاب الناعم يسمى غرنوق قال علي رضي الله عنه كأني أنظر إلى غرنوق من قريش ولما سجد النبي صلى الله عليه وسلم سجدوا معه جميعاً إلا الوليد قال لا أنحني كما تنحني أم أيمن وصواحباتها .

قال ابن عباس ليس على الشيطان شيء أغلظ من التعوذ بالله منه . قال رحمه الله فكأن الله يقول يا عبدي الشيطان بعيد مني وأنت قريب مني فأحسن الأدب في حفظ أحوالك حتى لا يكـون له علـيك سـبيل وحسن الأدب هو أداء الأوامر وترك النواهي والرضا بالقضاء والقـدر فإذا كان العبد كذلك نجى من الوسوسة وهواجس النفس وعذاب القبر وأهوال القيامة وكان في جوار الله من أوليائه الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، فحينئذ يسمع النداء هكذا فعلنا بمن ترك الهوى واتبع الحق وبه اهتدى ففيه يختصم الملأ الأعلى .

فاتباع الشيطان أصل كل شقاوة وعناء وفي مخالفته السعادة والراحة والخلود في دار البقى

فصل

ويستفاد من الإستعاذة خمسة أشياء

أحدها: الثبات على الدين والهدى

الثاني : السلامة من شر اللعين

والثالث : الدخول في الحصن الحصين والزلفى

والرابع : الوصول إلى المقام الأمين مع النبيين والصديقيين

الخامس : المعونة من رب الأرض والسماء

والـذي يخـاف الشيطان منه الإستعاذة وشعاع النور العارفين فعليك باستعاذة المتقين فإنه تنكسـر شوكته ويهزم جنده كما قال صلى الله عليه وسلم في حق عمر رضي الله عنه إن الشيطان يفرّ من ظلك يا عمر وقيل إن الشيطان إذا رأى عمر صُرِع .

ويجب على العبد أن يكون ملازماً للصدق مستيقظاً لمجيء الشيطان وكيده فإن مدخله دقيق وعداوتـه قديمة أصلية وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول بعد ما كُبر اللهم إني أعوذبك من أن أزني أو أقتل فقيل له تخاف من ذلك فقال فكيف لا أخاف وإبليس حيّ .

وأعظـم ما يستعان به على محاربة الشيطان كثرة الذكر لله وكثرة التسمية ويستعان عليه بـترك الطمـع ومفارقة قرناء السوء والأعمال الخبيثة ودعاة الضلال ويجالس الصالحين والعـارفين الداعين إلى الله القانتين أناء الليل وأناء النهار أولئك هم الآمنون من السلاسل والأغلال في جهنم .

وقال تعالى { وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ} (٤٥) سورة الأنفال

والذكر جلاء القلب به يزول الغطاء والظلمة والرَّين والغفلة وهو مفتاح التقوى، والهوى مفتاح الدنيا .

وقال عكرمة الوسواس محلة من الرجل القلب والعينين ومحلة من المرأة في عينيها إذا أقبلت وفي عجيزتها إذا أدبرت ، والشيطان يُلقي الفجور إلى النفس فتطالب النفس القلب باستعمال الجوارح بالفجور .

وعلى العبد المؤمن أن يقول أعوذ برب العرش العظيم ورب الكرسي من الشيطان المقوي وخواطر السوء وهواجس النفس ومن فتنة كل جنّي وإنسي ومن الرياء والنفاق والعجب والكبر ولذة مؤدية إلى المهالك وخاتمة السوء والإفلاس

فصل

في قوله جلا وعلا {إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} (٣٠) سورة النمل

اعلم أن هذه الأية مكية وذلك أن سليمان عليه السلام لما خرج من واد النمل إلى اليمن عطش الناس فسألوه الماء ففقد الهدهد وجمع الطيور فسألهم عنه فقالوا لا ندري أين ذهب وكان الهدهد يضع منقاره في الأرض فيخبر كم بعد الماء فتبادر الشياطين فتحفر ذلك فتخرج الماء ويتخذون البرك والركايا والقرب وتشرب الدواب والجن والإنس ولما فقده قال لأعذبنه يعني نتف ريشه فلا يطيرا حولاً فلما جاء أخبر سليمان وقال جئت بخبر لم تأت به الجن ولا الإنس وجدت امرأة تسمى بلقيس بنت أبي السرح الحميرية قد أوتيت من كل شيء في بلادها فكتب معه كتاباً ثم جاء الهدهد فوجدها نائمة على ظهرها وهي عريانة وهي كذلك تفعل عند نومها فوضع الكتاب إلى جنبها ثم لما طال عليه استيقاظها نقر في منقاره حتى استيقظت وقالت للحرس من جاء إليكم قالوا مازالت الأبواب مغلقة ونحن نحرس، ثم إن سليمان جمع جنوده وقال أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين يعني فلا يحل لي بعد الإسلام قال عفريت من الجن اسمه عمر وهو الغليظ من الجن أنا أتيك به قبل أن تقوم من مقامك وهو يجلس للقضاء إلى نصف النهار فقال سليمان أريد أعجل منك فقال الذي يعلم الإسم الأعظم وهو يا حي يا قيوم واسمه آصف أنا أتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك قال

غلبت إن فعلت وإلا فضحتني بين الجن ثم قام وصلى وقال يا حي يا قيوم وروي ياذا الجلال والإكرام والله أعلم .

وإنما ذكرت هذه القصة لما فيها من العبرة لكل مؤمن وبيان حال السلف الصالح والسلف الطالح وكرامات الله لأهل الطاعة وتسخير أهل المعصية لهم .

فصل

اعلم أنت يا موفق إنك إذا آمنت أمنت من أعدائك في الدنيا ومن نار الله في العقبى وترشدك الطريق فتقول جز يا مؤمن فقد اطفأ نورك لهبي .

وأنت يا منافق لو كنت عاملاً بموجب الإيمان لأمنت في الدنيا من كل مؤذي وكل شيطان من الإنس والجن ولكن غفلتك قد رانت على قلبك وتراكمت فيا لها من حسرة وندامة يوم تبلى السرائر يومئذ يصدر الناس أشتاتاً وتظهر الذرة من الخير والشر قيل إن الذرة قشر الهباء الذي يكون في شعاء الشمس مثل رؤوس الإبر وقيل أربع ذرات مثقال خردلة وقيل هي النملة الحمراء الصغيرة التي لا تكاد ترى وقيل الذرة جزء من ألف جزء من الشعيرة .

فصل

في تفسير { بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}

عن ابن عباس ان عثمان رضي الله عنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن البسملة فقال هي اسم من أسماء الله عز شأنه وما بينه وبين الإسم الأعظم إلا كما بين سواد العين وبياضها من القرب وجاء عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رفع من الأرض قرطاس فيه بسم الله الرحمن الرحيم إجلالاً لله كتب من الصديقين وخفف عن والديه العذاب وان كانا مشركين والله أعلم .

والله اسم مختص لا يسمى أحد إلا الله سبحانه والرحمن للمبالغة ومعناه وسعت رحمة كل شيء وقيل العاطف على خلقه والرحيم بالمؤمنين برحمته للنفوس والرحيم برحمته للقلوب

الرحمن بكشف الكروب والرحيم بغفران الذنوب الرحمن بمصالح معاشهم والرحيم بمصالح معادهم .

فصل

بسم الله الذي تعالى عن الأضداد بسم الله الذي تتره عن الأنداد وتقدس عن الصاحبة والأولاد الذي نور قلوب الأبرار وأيقضها أوقات الأسحار وأزاح عن قلوب أولياءه الأخطار وحفظها من رق الأغيار وحط عنها الأثقال والأوزار، وقيل الباء من بسم الله باري البرايا والسين ستار الخطايا والميم المنان ، بسم الله كلمة تمت بها النعمة وكشفت بها النقمة وخصت بها هذه الأمة كلمة جمعت بين جلال وجمال .

مجلس في قوله تعالى

{ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} (٣١) سورة النور

وهذا خطاب للعموم بالتوبة وحقيقتها الرجوع يقال تاب فلان أي رجع وهو الرجوع مما كان مذموماً في الشرع إلى ما هو محمود والمعاصي مهلكات فكأنه عز شأنه يقول ارجعوا إليّ من هوى نفوسكم عسى أن تظفروا في نعمي في دار البقاء والقرار قال تعالى توبةً نصوحاً: النصوح الخالص يعني يكون العبد مستقيماً على الطاعة لا يروغ كما يروغ الثعلب ولا يحدث نفسه بالرجوع إلى المخالفة حتى يختم له بخاتمة الخير والسعادة . والمؤمن يتعاظم الذنب والمنافق يتصاغر الذنب وقال بعضهم الذنب الذي لا يغفر قول الرجل ليت ما هنا إلا هذا وهذا من نقصان إيمانه وضعف معرفته بجلال الله عز شأنه .

وقيل أوحى الله إلى بعض أنبياءه لا تنظر إلى قلة الهدية ولكن انظر إلى عظيم مهديها ولا تنظر إلى صغر الخطينة وانظر إلى كبرياء من واجهته بها فيعظم من العالم ما لم يعظم من الجاهل ويتجاوز عن العامي ما لا يجاوز عن العارف على قدر ما بينهما من التفاوت في العلم والمعرفة والمترلة فكل مفتقر إلى التوبة .

وقال ذو النون المصري رحمه الله توبة العوام من الذنوب وتوبة الخواص من الغفلة وقال أبو الحسن السنوري التوبة أن تتوب من كل شيء فشتان بين من يتوب من الزلات وبين من

يتوب من طمأنينة القلب إلى غير خالق البريات وجاء عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال إنه ليغان على قلبي وأني لأستغفر الله سبعين مرة .

وكذا آدم عليه السلام لما عصى تطاير عنه اللباس هو وزوجته فالتفت إليها وقال هذا أول شـزم المعصية أخرجتنا من جوار الحبيب ومن العيش القار والفضل الكبير والعز والدلال وارتفـاع المنزلـة في أشرف الأمكنة وأطهرها فكيف نحن إذا أطعنا ربنا عزنا وإذا عصينا سقطنا ، وقد تاب نوح قال تعالى عنه { وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ} (٤٧) سورة هود ، وإبراهيم وموسى عيسى وداوود وسليمان فإذا كان هؤلاء السادة قادة الخلق كذلك فما حالك يا مسكين وأنت في دار الغرور في إقطاع الشياطين محيط بك الأعداء من الناس والهوى والنفس والشهوات والإيرادات والوساوس والاغترار بالعبادات الظاهرة مما يطول شرحه .

فصل

ونحـن مشحونون بالأخلاق القبيحة من خوف الفقر والسخط على القدر والشك والغل والحقد والحسد والغش وطلب العلو والمترلة وحب الثناء وحب الجاه والطمأنينة إلى الدنيا والتكبر على عباد الله والشمخ بالأنف والغضب وحب الرياسة والعداوة والبغضاء والطمع والـبخل والفخـر والخوض فيما لا يعني وكثرة الكلام من غير نفع والمداهنة والاشتغال بعيوب الناس والتعامي عن ذنوبنا وخراب القلب وخروج الخشية منه والانتصار للنفس إذا أصابها الذل الذي هو دواءها وسعادتها ودخولها في زمرة أحباب الله وأصفياءه وأنصار دينه القـائمين بحجـته الداعـين للخلق إلى طاعته المحذرين نقمته وناره المداومين على خدمته الشـاكرون لمنـنه الآمنون في الدنيا من دواران الدول والفتن وفي القبور من هول المطلع والضـغطة الخـالدون في دار البقاء في البهجة والسرور بكل طريف ولطيف في كل ساعة ولحظـة وطـرفه وأمنت من الفناء وسلب العطاء مما عليه أهل الغي والضلال مثل فرعون وهامـان وقـارون وعاد وشداد وقيصر وكسرى الذين تلاعبت بهم الدنيا وغرتهم الأماني وحـيل بيـنهم وبين ما يشتهون وأهبطوا من المنازل المشيدة فطولبوا بالوداع التي ضيعوها والأمـم التي ضلوها وصدوها عن الحق من أولاد وبنات وشيوخ وشباب وكهول ووقفوا

علـى مساوي ما عملوا ونوقشوا هم ومن أعانهم وحبسوا في حبوس أضيق مما حبسوا بها غيرهم في الدنيا .

فصل

يـا هذا كانت لك بهؤلاء عبرة وبالمأسورين عن أهاليهم عظة فكم من عرض وظهر وراس نالوا وضربوا وكم من عين مسكين أبكوا وكم من غني حسيب أذلوا وكم من بدعة سيئة شرعوا وكم من قلب حكيم كسروا وأغضبوا وكم من دعاء حزين في جنح الليل بظلمهم إلى الرحمن رفعوا فأجاب الله دعائهم لأنصرنكم ولو بعد حين فجعلهم حصيداً فقوم بالغرق وقوم بالخسف وقوم بالحصب وقوم بالقتل وقوم بالمسخ بالصور وقوم بالمسخ بالمعاني يكون قلبه ممسوخ أبداً لا ينتبه قال الله تعالى { وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً } (١٣) سورة المائدة . فطبع عليها بطابع الردة والغطاء والظلمة فأدخلهم دار البوار لا يموتون فيها ولا منتهى لثبورهم {قَالَ اخْسَؤُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ} (١٠٨) سورة المؤمنون

فصل في شروط التوبة

والـتوبة لهـا ثلاثـة شروط: الندم على المخالفات كما في الحديث الندم توبة والثاني ترك الزلات في جميع الحالات والساعات الثالث العزم على أن لا يعود .

قـال أبو بكر الواسطي التوبة النصوح أن لا يبقى على صاحبها أثر لا سر ولا جهر وقال بعـض العارفين إذا جاءك ضنك المعيشة والتعسير فيها فهو لتركك الأمر وتابع لهواك وإذا سـلط عليك أحد فهو لارتكابك المناهي وإذا جاءك هم وغم وكرب في قلبك فاعلم أنك معـترض على ربك فيما قدره فرب شهوة ساعة أورثت حزنا طويلاً أو أعقب داءً دوياً أو هدمت عمر طويلاً أو أبقت في النار زمناً طويلاً .

فصل

وأمـا شـروط صحة التوبة فيما يتعلق بالماضي هو أن يفكر من بلوغ سن التمام والأخلام فيفـتش عما مضى سنة سنة وشهراً شهراً ويوماً يوماً فينظر في الصلاة هل تركها في بعض

الأوقات أو صلى على غير وضوء أوتوضأ بماء نجس أو مغصوب أو صلى في ثوب نجس أو جلـــس في المسجد وهو جُنب أو مس المصحف على غير وضوء أو سرق مصحفاً فله أن يعـــيد الصـــلاة على حسب طاقته إذا كان لها تارك ويتوب ثم في صيام رمضان إن كان في جهله لم يصم أو افطر قبل الغروب أو أكل بعد طلوع الفجر فيقضي ذلك جميعه وإن شك في ذلك فليتحر الصواب وليجتهد .

فصل

وأما الزكاة إذا كان لم يزكي أو يخل ببعضها فيحسب جميع ماله وعدد السنين ويدفعها إلى مســتحقيها ويتوب ويندم وأما الحج فيجب عليه إذا بلغ وإن كان قد أخل في الحج بترك واجب مثل ترك رمي أو طواف وداع أو عدم مبيب في مزدلفة أو منى فيذبح دم أو يوصي من يذبح له ويقسم على فقراء مكة فقط وإن كان عليه كفارة يمين أو نذر فيجب الخروج منها ويدفعها إلى مستحقيها وأما المعاصي فيفتش على نفسه ويتوب ويندم إذا كانت تتعلق بحق الله مثل الزنا وشرب الخمر وسماع الملاهي والنظر إلى غير محرم والقعود في المسجد وهو جنب ومس المصحف بغير وضوء أو اعتقاد بدعة فتوبته الندم والإعتذار إلى الله عز شأنه .

ويُطلـب لكـل معصـية حسنه تناسبها أخذاً من قوله جلا وعلا { إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ } (١١٤) سورة هود

فتكفير شرب الخمر بالتصدق بالشراب الحلال وسماع الملاهي بسماع القرآن ومجالسة أهل المعاصـي بمجالسة الأخيار والقعود في المسجد وهو جنب بالإعتكاف ومس المصحف بغير وضوء بأن يوقف مصحفاً لوجه الله عز شأنه ، وتكفير إذاء الناس بالإحسان إليهم والدعاء لهم وإن كان الأذى بالغيبة فتكفيره بالثناء عليهم وإما إن كان زنى فلا يجب عليه أن يفضح نفسه بل يستتر ويتوب إلى الله ويشتغل بأنواع المجاهدة من الصيام والقيام والتقلل من المباح ويكثر القراءة والذكر والتورع والله هو التواب الرحيم الشكور الرؤوف .

وهذه هي حال التائب النادم يحاسب نفسه على الحبات والذرات من أول يوم معصيته إلى يوم توبته قبل أن يأتيه الموت على غفلة كما أتى على غيره فيموت من غير حساب لنفسه ومـن غير تحصيل ثواب وتهذيب كتاب ويندم ولا ينفعه ندمه ويستعتب فلا يعتب ويعتذر

ولا يعـــذر ولا يمهل . وروي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : هلك المســـوفون الذي يقولون سوف نتوب. وقال لقمان لابنه يا بني لا تؤخر التوبة إلى غد فإن الموت يأتيك بغتة فالواجب على كل أحد أن يتوب حين يصبح وحين يمسي قال مجاهد من لم يتب حين يصبح وحين يمسى فهو من الظالمين فكيف والموت على الرصد فربما تخترمه المنية قبل بلوغ الأمنية .

فصل

وجـــاء في الخـــبر المؤمن وقاف والمنافق لقاف وفي موضع آخر المؤمن فتاش يعني يفتش عن الذنوب القديمة وعن مطعمه ومشربه وملبسه ومسكنه ومركبه. وجاء في الحديث ونته عما نهيـــتك عنه تكن من أورع الناس وقيل ردّ دانق من فضه ورعاً أفضل من ستمائة حجة ، وجاء أن عبد الله ابن المبارك رحمه الله استعار قلماً وهو بالشام فلما رجع إلىمرو ذكر القلم ثم رجع إلى الشام ورده .

وقـــال إبراهـــيم ابن أدهم الورع ورعين ورع فرض وورع حذر ورغ الفرض البعد عن المعاصي وورع الحذر الكف عن الشبهات .

قال صلى الله عليه وسلم : الإثم حواز القلوب . يعني ما حز في صدرك وحاك فاجتنبه ومنه الحديـــث إياكم والحكاكات فإنها المأثم وقال معروف الكرخي رحمه الله احفظ لسانك من المدح كما تحفظه من الذم وقيل جاءت أخت بشر الحافي إلى الإمام أحمد رحمه الله وقالت يا إمام إنا نغزل على السطح بالليل وربما تمر بنا مشاعل الظاهرية يعني سرج أمراء زمانهم فهل يجوز نغزل على شعاعها قال لا من أنت عافك الله قالت أنا أخت بشر فبكى أحمد وقال من بيـــتكم يخـــرج الورع وقال علي العطار مررت ببعض شوارع البصرة وإذا مشائخ قعود وصـــبيان يلعبون فقلت ألا تستحون من هؤلاء الشيوخ فقال صبي منهم هؤلاء مشائخ قل ورعهم فقلت هيبتهم .

فصل

ومما جاء من عجائب أهل الورع

قيل إن مالك ابن دينار مكث أربعين سنة لم يأكل من تمر البصرة حتى مات وكان يقول يا أهـــل البصرة ما نقص من بطني ولا زاد في بطونكم . وقيل إن بشر الحافي إذا مدّ يده إلى طعـــام فـــيه شبهة لم تمتد إليه يده وكان بعضهم إذا قدم إليه طعام فيه شبهة فاح منه رائحة منتنة فتركه وإنما فعل الله هذا بهم تخفيفاً ورحمة وحمية لهم لما اجتهدوا في طلب الحلال وترك الحـــرام حمـــاهم الله عما يكرهون والحلال هو الذي ليس للخلق فيه تبعة ولا للشرع عليه مطالبة كما قال سهل ابن عبد الله الحلال هو الذي لا يُعص الله فيه .

فصل

ومن دقائق الورع

مـــا روي أن كهبس رحمه الله قال أخذت من جدار جاري طينة ولم أستحله فأنا أبكي من ذلك أربعين سنة وقيل أن رجلاً كان في بيت الكراء فكتب كتاباً وأخذ تراب لأجل يترب الخط فهتف به هاتف سيعلم المستخف في التراب ما يلقي غداً من الحساب وقيل أن الإمام أحمد رحمه الله رهن صطلاً له عند بقال فلما جاءه أخرج له صطلين فقال خذ أحدهما فتشبه علـــيه صـــطله فتركهما فقيل أن رابعة رحمه الله خاطت ثوبها في ضوء سراج بعض الظلمة ففقدت قلبها مدة ثم شقت المخيط فرجعت إليها قلبها، ولا يتم الورع إلا إذا أحكم عشرة أشياء

الأولى : المحافظـــة على جميع الفرائض الثانية : أن يستقيم على السنة الثالثة: حفظ اللسان الرابعة: البعد عن سوء الظن بالمسلمين الخامسة: اجتناب السخرية بالناس السادسة: غض البصـــر عـــلى كـــل الأحيان السابعة : الصدق الثامنة : أن يعرف منة الله عليه التاسعة : الصـــدق والإنفاق العاشرة : أن يتواضع ولا يطلب الشرف والكبر وتعظيم الناس له لأن كل شيء له بداية ولا يحصل شيء إلا مع الصبر على أوله .

فصل

ويجوز أن يتوب من بعض الذنوب دون بعض إذا عجز عن نفسه مثل أن يتوب من الكبائر دون الصغائر لأن الكبائر أعظم عند الله وأقرب لسخطه ومقته والصغائر دونها في الرتبة إذ هـي أقرب إلى العفو ، ثم إذا قوي إيمانه ويقينه ظهرت عليه أنوار الهداية وانشراح صدره للإنابة إلى الله تـرك حينئذ جميع الصغائر ودقائق الزلات لأن زائل العقل يرتكب جميع المعاصي .

فـإذا قال الفاسق إذا غلبني الشيطان في بعض المعاصي فلا ينبغي لي أن أرخي العنان وأخلع العذار بالكلية بل اجتهد فيما يخفف عني ولعل الله يراني أخافه فيعينني ويوفقني ولو لم يكن كذلك لما صحت عبادات الفاسق وطاعاته . وقيل أوحى الله إلى داوود عليه السلام اتق أن أخذك على غرة فتلقاني لا حجة .

ودخـل بعض الصالحين على عبد الملك ابن مروان فقال له عظني فقال له هل أنت مستعد للموت قال لا قال فهل أنت تريد ان تحول عن هذه الحال قال لا قال فهل بعد الموت دار فـيها تستعتب قال لا قال فهل تأمن الموت أن يأتي على غرة قال لا فقال هذه الخصال لا يرضى بها عاقل وقال الفضيل رحمه الله كن وصي نفسك ولا تجعل الناس أوصاك بعد موتك تلومهم أن ضيعوا وصيك وقد ضيعتها أنت في حياتك .

قال الشاعر

تمتع إنما الدنيا متـاع ... وإن دوامـها لا يستطاع
وقدم ما ملكت وأنت حي ... أمير فيـه متبع مطـاع
ولا يغررك من توصي إليه ... فقصر وصية المرء الضياع

وقال آخر

إذا ما كنت متخذا وصياً ... فكن فيما ملكت وصيّ نفسك
ستحصد ما زرعت وتجني ... إذا وضع الحساب ثمار غرسك

وقـال علي ابن أبي طالب رضي الله عنه مكتوب حول العرش قبل خلق آدم بأربعة الآف سنة {وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى} (٨٢) سورة طـه ، والله أعلم

وروي أن ابن مسعود مر على رجل يسمى زذان وهو يغني مع الفساق ويضرب العود فقال عبد الله ما أحسن هذا الصوت لو كان في القرآن ثم مضى وسمعه زاذان فقال من هذا قالوا هــذا صــاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت قلبه الهيبة وبكى ثم لحق عبد الله وتاب على يده ثم صار بعد ذلك إماماً في الحديث يروي عن عبد الله وعن سلمان رضي الله عنهما .

فانظــر إلى بركة الصدق كيف هدى الله زاذان بعبد الله ابن مسعود فلا يصلح بك فاسد حتى تكون أنت صالحاً في ذات نفسك خائفاً لربك إذا خلوت وحدك ومخلصاً إذا خالطت غيرك فحينئذ يزاد بك في توفيقك وغلب بك المنكر بخلاف ما كان في زماننا ينكر أحدهم مــنكراً واحــداً فيتفرع منه منكرات جمّة وفساد عظيم وكل ذلك لقلة صدقهم ونقصان إيمــانهم وغلبت الهوى فهم ينكرون على الغير ويتركون فرض العين فمن أراد أن يزيل به المنكر فعليه أولاً بالإنكار على نفسه وفطمها عن المعاصي .

فصل

وإنما تعرف توبة التائب في أربعة أشياء

حفــظ لســانه ولا يكون في قلبه حسد ولا عداوة وأن يفارق جميع أصحاب السوء فإنهم يشوشون عليه عزمه وأن يكون مستعداً للموت نادماً مستغفراً من ذنوبه السالفة وقال أبو علي الدقاق التوبة ثلاثة أقسام التوبة ثم الإنابة ثم الأوبة وقال سهل بن عبد الله التوبة ترك التســويف وقال أيضاً التوبة أن لا تنس ذنبك وقال ذو النون المصري التوبة من الذنوب لعمــوم الخلق وتوبة الخواص التوبة من الغفلة وقال النوري التوبة أن تتوب من كل شيء وقــال أبــو عمر الأنطاكي ركب الوزير عيس في جمع وعظمة فقال الناس من هذا فقالت امرأة عابدة هذا عبد سقط من عين الله فابتلاه الله بهذا فسمع الوزير قولها ودخل بيته وترك الوزارة وذهب إلى مكة وجاور بها .

فصل

في قوله عز شأنه { إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} (١٣) سورة الحجرات

اختلف العلماء في معنى التقوى ، قال ابن عباس المتقي الذي يتقي الشرك والفواحش وقال ابن عمر التقوى أن لا ترى نفسك خيراً من غيرك وقال عمر لكعب ما هي التقوى قال هل دخلت طريقاً فيه شوك قال نعم قال ما فعلت قال شمرت ثيابي قال هذه التقوى ونظمها بعضهم فقال

خل الذنوب صغيرها وكبيرها فهو التقوى   وضع كماشٍ فوق أرضي الشوك يحذر ما يرى

وقال عمر بن عبد العزيز المتقي ملجم يعني ما يتكلم في السوء ولا فيما لا يعنيه وقال سفيان هو الذي يحب للناس ما يحبه لنفسه .

وقال محمد ابن خفيف التقوى مجانبة كل شيء يبعدك عن الله وقال القاسم هي مجانبة الشر والمحافظة على أدآب الشريعة وقال الفضيل لا يكون العبد من المتقين حتى يأمنه عدوه كما يأمنه صديقه وقال سهل المتقي من تبرأ من الحول والقوة وقيل هو الذي يترك متابعة هواه وقيل التقوى أن تزين سرك للحق عز شأنه كما تزين علانيتك للخلق وقال سهل لا معين إلا الله ولا دليل إلا رسول الله ولا زاد إلا التقوى ولا عمل إلا الصبر عليها وقال الكناني من لم يحكم بينه وبين الله التقوى والمراقبة لم يصل إلى الكشف والمشاهدة وقال ذو النون التقي من لا يدنس ظاهره بالمعارضات ولا باطنه بالعقلات ولا عيش إلا مع رجال تحن قلوبهم للتقوى وترتاح بالذكر .

فصل

وكان بعض الأئمة لا يجلس في ظل شجرة غريمة لأنه قرض يجر نفعاً وقيل أن أبا يزيد غسل ثوبه هو وبعض أصحابه وقال له صاحبه نعلقها على الجدار قال لا لأنه جدار الناس قال نعلقها على الشجر قال تنكسر أغصانها قال على الأرض قال لا لأنه علف الدواب فجعل كل واحد ثوبه على ظهره حتى يبس .

وكان إبراهيم ابن أدهم نائم في بيت المقدس فنزل ملكان قال أحدهما من هذا قال هذا إبراهيم قال هذا قد حط درجته لأنه اشترى تمراً من البقال فوقع تمرة من البقال في تمرة الذي اشترى من البصرة فرجع إلى البصرة فردها إلى البقال .

فصل

وطريق التقوى هو التخلص من حقوق الناس وظلمهم ثم من الكبائر ثم من الصغائر ثم من معاصـــي القلـــب من الرياء والنفاق والعجب والكبر والحرص والطمع والخوف من الخلق والرجاء منهم وطلب الجاه والرياسة والتقدم عند أبناء الدنيا وغير ذلك مما يطول شرحه .

وقال الجنيد ما نجى من نجى إلا بالصدق قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ} (١١٩) سورة التوبة

وقـــال الجريري ما نجى من نجى إلا بمراعات الوفاء قال تعالى {الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللّهِ وَلاَ يِنقُضُونَ الْمِيثَاقَ } (٢٠) سورة الرعد

وقـــال عطـــاء ما نجى من نجى إلا بتحقيق الحياء قال تعالى {أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى} (١٤) سورة العلق

وقـــال الحسن ما نجى من نجى إلا بالإعراض عن الدنيا وأهلها قال تعالى {إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ } (٣٦) سورة محمد

فقد رغبك الله فيما عنده من الفضل والسعة والراحة وطيب الرزق والطمأنينة لديه بسلوك طـــريق التقوى وملازمته وترك الذنوب فمن تناول ما لم يحل له فقد حرم نفسه حظها من عـــرائس الجنة والجلوس تحت شطرة طوبى والعز والراحة والملائكة تزورهم ويأتون أسواق يختـــارون ما يريدون من صور في أوقات الصلوات ويخرجون إلى البساتين على خيول الدر والياقوت من أبواب مدائنهم إلى تلك الميادين ويسيرون على شواطئ الأنهار والكوثر .

وقال أبو قلابة قال رجل يا رسول الله هل في الجنة من ليل قال له ما هيجك على هذا قال سمعت الله يذكر { وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا} (٦٢) سورة مريم. فقال صلى الله عليه وســـلم لـــيس هـــناك ليل إنما هو ضوء ونور يرد الغدو وعلى الرواح والرواح على الغد ويأتـــيهم طـــرف الهدايا في مواقيت الصلوات التي كانوا يصلونها في الدنيا وتسلم عليهم الملائكـــة فمن أراد أن يكون له حظ من هذا العيش اللذيذ فعليه بحفظ حدود التقوى كما قال عز شأنه { وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ } (١٧٧) سورة البقرة

ويقال في الجنة سوق فيه صور على صور الناس مكتوب على كل صورة من تمَنّى أن يكون حسنة على حسن صورتي جعل الله حسنه على صورتي والله أعلم .

فصل

في صفة النار أعاذنا الله منها ووالدينا وجميع المسلمين بمنه وكرمه وإحسانه

قال تعالى {لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ} (٤٤) سورة الحجر

يساق إليها الكفرة ثم يؤذن بينهم مؤذن أن لعنة الله على الظالمين ثم يلعن الضعفاء أهل الكبر ويلعن أهل الكبر الضعفاء التابعين ويقولون لقرنائهم يا ليت بيننا وبينكم بعد المشرقين فبئس القرين يا ليتنا صبرنا ولم نطعكم فيا عبد الله ارحم نفسك واتبع عقلك ولا تتبع هواك فيضلك عن سواء السبيل ولا تتبع من هو مصدود ملدّد فتشقى معه ويتحمل إثمك مع إثمه

قال تعالى {لِيَحْمِلُواْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلاَ سَاء مَا يَزِرُونَ} (٢٥) سورة النحل

وقال تعالى {وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ } (١٣) سورة العنكبوت

وينادي مناد بصوت عال أين النبيون والصديقون والشهداء والصالحون ثم يعرض الخلق ثم ترد المظالم والظلم أمره عظيم

قال الشاعر

ألا إنما أظلم شؤم ... وما زال الظلوم هو المشؤم

إلى ديان يوم الدين نمضي ... وعند الله تجتمع الخصوم

فصل

في ذكر فضائل الشهور والأيام المباركة

أشهر الحرم أربعة واحد فرد وهو رجب وثلاثة سرد وهن ذى القعدة وذي الحجة ومحرم

قال تعالى { فَلاَ تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ } (٣٦) سورة التوبة

ويتأكد النهي عن الظلم والمعاصي فيهن خاصة لأنه لهن خصوصية مثل الصلاة قال تعالى {حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الْوُسْطَى وَقُومُواْ لِلّهِ قَانِتِينَ} (٢٣٨) سورة البقرة

وسمي رجب من الترجيب وهو التعظيم عند العرب يقال رجبت هذا الشهر إذا عظمته مثل ما قال الحباب ابن المنذر يوم السقيفة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب أي أنا المعظم .

وقيل سمي رجب لأن بعض الكفار دعا على قبيلة فيه فهلكوا وقيل إن الدعاء فيه مستجاب على الظلمة وكل جائر ولهذا كانت الجاهلية يؤخرون دعاءهم على من ظلمهم إلى رجب فلا يرد خائباً .

وأما فضل شعبان فقد جاء في الحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم وما رأيته صام في شهر أكثر من صيامه في شعبان (البخاري)

وقد ورد في فضل النصف من شعبان أحاديث كثيرة وورد في الليلة فيه أحاديث وترغيب والله أعلم بالصحيح والصواب .

فصل في ذكر عيد الفطر

قال تعالى {قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى} (١٤) سورة الأعلى

والفلاح الفوز بالجنة والنجاة من النار والسعادة والتوفيق للطاعة في الدنيا والخلود في الجنان في الأخرى قال الحسن من تزكى من كان عمله صالحاً زكياً قوله فصلي قال ابن عباس معناه وحد الله وصلى الصلوات الخمس .

وإنما سمي العيد عيداً لأن الله يعد على عباده فيه الفرح والسرور وقيل سمي عيداً لأن فيه عوائد الإحسان والإمتنان وقيل سمي عيداً لأنه يقال للمؤمنين عيدوا إلى منازلكم مغفوراً لكم والله أعلم .

فصل

وليس العيد بلبس الجديد ولا أكل الطيبات ومعانقة المستحسنات والتمتع باللذات، لكن العيد بظهور علاقة القبول وتكفير الذنوب والبشارة برفع الدرجات وانشراح الصدر بنور الإيمان وسكون القلب ببرد اليقين .

دخل رجل على علي رضي الله عنه في يوم عيد وهو يأكل خبزاً يابساً فقال له الرجل اليوم يوم عيد وأنت تأكل هذا فقال له عليّ اليوم عيد لمن قُبل صومه وشكر سعيه واليوم لنا عيد وغداً لنا عيد وكل يوم لا يعصى الله فيه فهو لنا عيد، فيبقى لكل عاقل أن يترك النظر إلى الظاهر ويتفكر في القبول .

والعيد يشبه بيوم القيامة : ويستحب إذا خرج إلى صلاة العيد مع طريق رجع مع طريق آخر قيل لأجل تشهد له الأرض يساوي بين الناس برؤيته وقيل غير ذلك والله أعلم .

فصل

في فضل أيام عشر ذي الحجة

قال تعالى {وَلَيَالٍ عَشْرٍ} (٢) سورة الفجر

هي عشر ذي الحجة والشفع هو يوم النحر والوتر هو الله وقيل أنه آدم وشفع بزوجته حواء وعن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال قبل الله توبة آدم في عشر ذي الحجة وفيها بنى إبراهيم الكعبة وفيه أكرم الله موسى وفيه غفر لداوود وفيها كانت بيعة الرضوان وكان صلى الله عليه وسلم لا يترك أربعاً صوم عشر ذي الحجة وعاشوراء وثلاثة أيام من كل شهر وركعتين قبل الغداة ، وعن سعيد ابن جبير أنه قال لا تطفؤ سُرجكم ليال العشر وتعجبه فيه العبادة، وجاء عن الحسين ابن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا دخلت عشر ذي الحجة فجدوا في الطاعة فإنها أيام فضلها الله وجعل حرمة ليلها كحرمة نهارها .

وقيل من أكرم هذه الأيام العشر أكرمه الله بعشر كرامات البركة في عمره والزيادة في ماله والحفظ لعياله والتكفير لسيئاته والتضعيف لحسناته والتسهيل لسكراته والضياء لظلماته والتثقيل لميزانه والنجاة في دركاته والصعود على درجاته والله أعلم .

فصل

في فضل يوم عرفة وما ورد فيه

وجاء في الحديث الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من صام يوم عرفة يكفر السنة الماضية والباقية (مسلم)

وعـن أبي قتادة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال صيام يوم عرفة كفارة سنتين سنة ماضـية وسنة مستقبلة وورد عن سعيد ابن المسيب عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى يوم عرفة بين الظهر والعصر أربع ركعات يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة قـل هو الله أحد خمسين مرة كتب له ألف حسنة ورفع له بكل حرف من القرآن درجة في الجنة .

فصل

وأمـا أيام التشريق فمعلوم فضلها قيل إنها هي الأيام المعدودات وقيل سميت أيام التشريق لأن المشركين يقولون أشرق ثبير كيما نغير وقيل لأنهم يشرقون فيها اللحم وقيل لأن صلاة العيد بعد الشروق وصارت الثلاث تبع بالإسم والله أعلم .

فصل

في فضائل يوم النحر وهو يوم الأضحى

قال تعالى {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ} (١) سورة الكوثر

قـال ابـن عباس الكوثر الخير الكثير ومنه النبوة والقرآن والنهر الذي في الجنة أحلى من العسل وحصاه الدر والياقوت يطرد مثل السهام وإنما سمي الكوثر لأنه أكثر أنهار الجنة خيراً

وقوله تعالى {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ} (٢) سورة الكوثر

قال مقاتل الصلوات الخمس والنحر ذبح البدن وقيل صلاة العيد وقيل ارفع يدك بالتكبير إلى نحرك وقيل انحر بصدرك إلى القبلة:

{إِنَّ شَـانِئَكَ هُـوَ الْأَبْتَرُ} (٣) سورة الكوثر : قيل لما مات ابن النبي صلى الله عليه وسلم الذي من خديجة قال العاص ابن وائل هذا أبتر يعني إذا مات ليس له ولد يرثه .

فصل

في فضل الأضحية

روي أن رسـول الله صـلى الله عليه وسلم قال لفاطمة قومي إلى أضحيتك فاشهديها أي احضريها فإنه يغفر لك بكل قطرة تقطر من دمها كل ذنب ، وروي أن الله قال لداود، يا داوود أما علمت أن الضحايا هي المطايا وأن الضحايا تمحو الخطايا وتدفع البلايا وأنها فداء لـلمؤمن كما فدي إسماعيل وفي حديث أحسنوا ضحايكم فإنها مطاياكم يوم القيامة وقال علي رضي الله عنه في قوله تعالى {يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا} (٨٥) سورة مريم: قال نجائب وهي ضحاياهم ثم يؤتون بنوق لم يرى الخلائق مثلها .

والأضحية سنة مؤكدة وعن بعضهم أنها واجبة وجاء في حديث ثلاث عليّ فرض وهي لكم سنة النحر والوتر وركعتا الفجر .

فصل

في الذكر وفضله

قال تعالى : {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ} (١٥٢) سورة البقرة

قـال ابـن عـباس رضي الله عنه أذكروني بطاعتي أذكركم بمعونتي وقال سعيد ابن جبير اذكروني بطاعتي أذكركم بمغفرتي وجاء في حديث من أطاع الله فقد ذكره ومن عصى الله فقـد نسـيه وقيل اذكروني على ظهر الأرض أذكركم في بطنها إذا نسيكم أهلكم وقال الأصـمعي رأيت أعرابياً يوم عرفة وهو يقول إلهي عجّت إليك الأصوات بضروب اللغات يسألونك الحاجات وحاجتي إليك أن تذكروني عند البلى إذا نسيني أهلي : وقيل أذكروني بمحو الإقتراف أذكركم بصفاء السر وقيل اذكروني بالقلب أذكركم بكشف الحجب .

وقيل اذكروني من حيث أنتم أذكركم من حيث أنا ولذكر الله أكبر .

وقال أبو عثمان النهدي إني أعلم حين يذكرني ربي قيل له وكيف ذلك فقال إذا ذكرت الله ذكرني وقال أوحى الله إلى داوود عليه السلام فبي فافرحوا وبذكري فتنعموا وقال سهل ما أعـرف معصية أقبح من نسيان هذا الرب الكريم وقال بعضهم وصف لي عابد ذاكر لله في

جبل فأتيته فبينما نحن جلوس إذ أقبل سبع فعضه ثم غشي عليه فلما أفاق قلت ما هذا فقال قـيض لي هذا السبع كلما دخلتني فترة عن الذكر جاء فعضني كما رأيت زجراً عن الغفلة وقـال سفيان بن عيينة إن الله قال لموسى عليه السلام قل للظلمة لا يذكروني فإني اذكر من ذكرني وإن ذكري لهم أن ألعنهم .

فصل

وأما الدعاء فقد أمر الله به عباده

قـال { ادعوني أستجب لكم} وعن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسـلم (مـا من مسلم دعا الله بدعوة ليس فيها قطيعة رحم ولا إثم إلا أعطاه الله إحدى ثـلاث خصـال إما أن يعجل دعوته وإما أن يدخرها له في الآخرة وإما أن يدفع عنه من السـوء مثـلها قـالوا يا رسول الله فإذاً نُكثر قال صلى الله عليه وسلم الله أكبر أكثروا. وقيل إن الله يجيب دعوة المؤمن في الوقت إلا أنه يؤخر إجابته لحكمة وليدعوه فيسمع صوته وقـيل أوحـى الله إلى داود عليه السلام قل لظلمة لا يدعوني فإني أوجبت على نفسي أن أجيب وإن إجابتي للظالمين لعنتهم .

وقـيل إن يحـي ابـن سعيد رأى رب العزة عز شأنه في المنام فقال يا ربي كم أدعوك فلا تستجيب لي فقال يا يحيى إني أحب أن أسمع صوتك وقيل إن إبراهيم ابن أدهم رحمه الله قيل له ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا فقال لأنكم عرفتم الرسول فلم تتبعوه وعرفتم القرآن ولم تعملـوا بـه وأكلتم نعم الله ولم تؤدوا شكرها وعرفتم الجنة ولم تطلبوها وعرفتم النار ولم هربوا منها وعرفتم الشيطان فلم تحاربوه وعرفتم الموت ولم تستعدوا له ودفنتم موتاكم ولم تعتـبروا بهـم وتركـتم عـيوبكم واشـتغلتم بعـيوب الـناس.

وقـال بعضـهم إن للدعـاء أدآبـاً وشروط هي أسباب للإجابة ونيل المنى فمن راعاها واستكملها كان من أهل الإجابة ومن أغفلها أو أخل بها فهو من أهل الإعتداء في الدعاء .

ودعـاء الأنبياء ربهم وقال إبراهيم ربي هب لي من الصالحين يعني هب لي ولداً صالحاً، ولما أخذا شعبة من قلبه أمر بذبحه ثم نودي قد صدقت الرؤيا وفدي بكبش واسمه زرير وقيل إن الملائكـة قالت يا ربنا لما فعلت هذا قال حتى لا يحب أحداً غيري، ويعقوب أحب يوسف

فغـاب عـنه أربعين سنة ، ونبينا صلى الله عليه وسلم أحب الحسن والحسين وأخبر بأن أحدهم يُسم والآخر يقتل وكان علي ابن عمه وزوج ابنته وهو يعلم أنه يقتل ويسيل الدم من هذا وهذا وأن لله جعل لقلب نبيه القوة مع الرقة والرحمة والنور العظيم صلى الله عليه وعلى جميع أصحابه وأهل بيته وزوجاته .

فصل

في فضل يوم عاشوراء وما ورد فيه

وقد قتل الحسين يوم عاشوراء قالت أم سلمة رضي الله عنها دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي قلت ما يبكيك يا رسول الله قال أخبرني جبريل أن الحسين يقتل وروي أن سـليمان ابن عبد الملك رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام يبشره ويلاطفه فـلما أصبح أخبر الحسن البصري فقال له لعلك فعلت خيراً مع أهل بيته قال نعم وجدت رأس الحسين في خزانة يزيد ابن معاوية فغسلته ودفنته .

وروي أن حمزة الزيات قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وإبراهيم في المنام يصليان على قبر الحسين وروي أن الحسين رأى النبي صلى الله عليه وسلم ضحوه يوم عاشوراء .

فصل

في فضل يوم الجمعة وما ورد فيه

قـال الله عز شأنه {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ} (٩) سورة الجمعة

قال ابن عباس يا أيها الذين أمنوا يعني أقروا وصدقوا بوحدانية الله عز شأنه اسعوا : امشوا وقوله تعالى { قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ} (١١) سورة الجمعة ، وذلك أن الإبل إذا جاءت استقبلوها بالطبل فلما كان بعض الأيام جاءت فخرج الـناس على العادة إلا اثني عشر رجلاً وامرأة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا هؤلاء الذين بقوا لقد سومت لهم الحجارة .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تطلع الشمس ولم تغرب على يوم أفضل من يوم الجمعة (الحديث)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اليوم الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة والموعود يوم القيامة وقال أبو هريرة قال صلى الله عليه وسلم إذا قلت لصاحبك انصت فقد لغوت وعن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده قال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تقف الملائكة على أبواب المساجد يوم الجمعة يكتبون مجيء الناس حتى يخرج الإمام فتقول الملائكة بعضهم لبعض ما حبس فلان وما حبس فلان فيقولون اللهم إن كان مريضاً فأشفه وإن كان ضالاً فاهده وإن كان غائباً فأعنه وقال ثابت بلغنا أن الملائكة معهم ألواح من فضة وأقلام من ذهب يكتبون من صلى.

وجاء في حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في آخره فمن تركها جحوداً أو استخفافاً بها فلا جمع الله شمله ولا بارك له في أمره ألا ولا صلاة له ولا زكاة له ولا حج له حتى يتوب .

وأخبرنا أبو نصر عن والده بإسناده عن ثابت البناني عن طاووس عن أبي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يبعث الأيام يوم القيامة على هيئتها ويبعث يوم الجمعة وهي زاهرة منيرة أهلها يحفون بها كالعروس تُهدى إلى كريمها تضيء لهم يمشون في ضوءها الوانهم كالثلج وريحهم كالمسك يخوضون في جبال الكافور وينطر إليهم الثقلان ما يطرفون تعجباً حتى يدخلون الجنة لا يخلطهم إلا المؤذنون المحتسبون .

وفي خبر أن جهنم تُسعر في كل يوم قبل الزوال إلا يوم الجمعة ويقال إن الطير يُلقى بعضها بعض يوم الجمعة فيقولون سلام عليكم يوم صالح .

فصل

وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اغتسل يوم الجمعة ثم راح في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة (الخ)

قـال بعضـهم الساعة الأولى تكون بعد صلاة الصبح والثانية تكون عند ارتفاع الشمس والثالثة عند انبساطها وهي الضحى والرابعة تكون قبل الزوال والخامسة إذا زالت الشمس والله أعلم .

وعـن نـافع عـن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اغتسل في كل جمعة أخرجه الله عز شأنه من ذنوبه ثم قيل له استأنف العمل .

وعـن الحسن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة اغتسل يوم الجمعة ولو أن تشتري الماء بقوت يومك وكان بعض أهل العلم يستحب إتيان زوجته في يوم الجمعة اتباعاً لقوله وغسّل بالتشديد والله أعلم .

ويسـن أن يلـبس أحسن ثيابه وهو الأبيض ويتعمم لأنه جاء في حديث أن الملائكة تصلى عـلى أصـحاب العمائم يوم الجمعة ويتطيب وينوي العكوف في المسجد إلى حين خروجه وينوي كف شره عن الناس وليترك راحته يوم الجمعة وحظوظ دنياه ويكثر من الصلاة عن النبي صلى الله عليه وسلم والذكر والتسبيح، فاحذر أن تكون من المحرومين لا تذكر ولا تُذكـر، والمؤمن يذكر الله ويذكره الله ، قال تعالى(فاذكروني أذكركم) وروي أن الملائكة تخلل الصفوف فيقولون ما فعل فلان فقال مات فيقولون رحمه الله كان صاحب جمعة ما فعل فـلان فقال غائب فيقولون حفظه الله كان صاحب جمعة ما فعل فلان فقال مريض فيقولون عافاه الله كان صاحب جمعة .

فصل

وروي عن بعض السلف أنه قال إن لله رزق سوى أرزاق الناس لا يعطى إلا ممن سأله عيشة الخمـيس ويوم الجمعة وروي أن فاطمة رضي الله عنها كانت تأمر غلامها ينظر إلى غروب الشمس إذا تدلى نصف عين الشمس للغروب ثم تقوم وتدعو ، وجاء في حديث أن من قال عصر الجمعة سبحانك الله لا إله إلا أنت يا حنان يا منان ياذا الجلال والإكرام، لو دعا به على شيء بين المشرق والمغرب استجيب لصاحبه والله أعلم .

وعن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أكثروا الصلاة على نبيكم في الليلة الغرّاء واليوم الأزهر يعني ليلة الجمعة ويومها وفي حديث عن أنس قال كنت واقفاً

بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من صلى علي في كل جمعة ثمانين مرة غفر الله له ذنوب ثمانين سنة .

وقيل من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له نور من قدمه إلى عنان السماء وقيل من قرأها أيضاً كان كمن تصدق بعشرة الآف دينار ويستحب أن يختم يوم الجمعة ويستحب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ألف مرة وعن سلمان قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدري لم سمي يوم الجمعة قلت لا قال لأن فيه جمع أبوكم آدم وقيل هو من اجتماع آدم وحواء وقيل سمي جمعة لاجتماع أهل البلدان والقرى فيه وقيل لأنه تقوم فيه القيامة ويجتمع الخلق وقيل لأن قالب آدم وروحه اجتمعا بعد أن كان ملقى أربعين سنة وقيل غير ذلك والله أعلم .

فصل

وجميع ما تقدم من صيام الأشهر والأيام والصلاة والعبادة بكل أنواعها والأذكار وما سنذكره إن شاء الله تعالى لا يكون كاملاً إلا بعد التوبة وطهارة القلب من الحقد والكيد والحسد والغش والرياء والربا والسمعة قال تعالى { إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ} (٢٢٢) سورة البقرة

ويحب كل قلب طاهر من الذنوب قال عطاء : يحب التوابين من الذنوب والمتطهرين بالماء من الأحداث كما في قصة أهل قباء وقيل التوابين من الكبائر والمتطهرين من الصغائر وقيل المتطهرين من الأفعال السيئة والأقوال السيئة،

وعن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مر رجل على جمجمة ميت فقال يا ربي أنت أنت وأنا أنا أنت العواد بالمغفرة وأنا العواد بالذنوب ثم خر ساجداً ، قيل له ارفع رأسك فغفر له .

وقال الحسن سألت حذيفة عن الإخلاص فقال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الإخلاص فقال سألت جبرائيل فقال سألت رب العزة عز شأنه فقال هو سر من سري استودعته قلب من أحببت من عبادي ، وعن أبي إدريس رحمه الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لكل حق حقيقة وما يبلغ عبد حقيقة الإخلاص حتى لا يحب أن يحمد

على شيء من عمله لله ، وقال يحيى ابن معاذ الإخلاص تمييز العمل من العيوب كتمييز اللبن من الدم وقال البوشنجي هو ما لا يكتبه الملكان ولا يفسده الشيطان ولا يطلع عليه إنسان وقيل هو ما لا تشوبه الآفات ولا رخص التأويلات .

وقيل هو ما سُتر عن الخلائق وصُفي من العلائق وقال أبو يعقوب المكفوف هو أن يكتم حسناته كما يكتم سيئاته وقيل هو إرادة القرب من مولاه فلا يتصنع للخلق ولا يطلب منهم الحمد وقال المغربي الإخلاص ما لا يكون للنفس حظ بحال وقال سري السقطي من تزين للناس بما ليس فيه سقط من عين الله وقال بعضهم أشد ما على النفس الإخلاص لأنه ليس لها فيه حظ من الدنيا أو جاه وقيل الإخلاص الإغماض عن رؤية الأعمال وقال سهل ابن عبد الله رحمه الله لا يعرف الرياء إلا مخلص .

فصل

وينبغي لكل متعبد وعارف أن يحذر من الرياء والسمعة لأن العوام وأهل الدنيا لم يدخلوا مدخل أهل المعرفة والإنابة وليس لهم أحوال يخافون عليها وقد توعد الله أهل الرياء والسمعة ونبه على شؤم النفس وغوائلها وأمر بمخالفتها بالقرآن تارة وفي السنة تارة قال تعالى : {فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّين ، الَّذينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ } وقال تعالى { يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ} (١٦٧) سورة آل عمران

وقال الله تعالى لداوود يا داوود اهجر هواك فإنه لا منازع ينازعني في ملكي غير الهوى قال تعالى : { وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ} (٢٦) سورة ص

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه : (اللهم طهر لساني من الكذب وقلبي من النفاق وعملي من الرياء وبصري من الخيانة فإنك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور) وفي بعض الأخبار : لا تجالس إلا عالم يدعوك من خمس إلى خمس من الرغبة إلى الزهد ومن الرياء إلى الإخلاص ومن الكبر إلى التواضع ومن المداهنة إلى المناصحة ومن الجهل إلى العلم.

وعــن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (مررت ليلة أسري بي بقــوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت ما هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء خطباء أمتك الذين يقولون الشيء ولا يعملون به)

وجاء في الخبر (إن الله يعطي الدنيا على نية الآخرة ولا يعطى الآخرة على نية الدنيا) معناه أن العــبد إذا عمل لوجه الله ورجاء الجنة قد يعطى من الدنيا ولا يضره وإذا عمل صالحاً قصده الدنيا لم تأتيه الآخرة والله أعلم .

وعــن عدي بن حاتم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يؤتى بأناس يوم القيامة في أعظــم نكال فيقول الله عز شأنه إنكم كنتم إذا خلوتم بارزتموني بالعظائم وإذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين (الحديث)

المعــنى أن الذي عنده علم ولا يكون عنده خوف من الله لا بد يكون فيه نفاق يُخفي شيء يكــرهه الــناس يخشــى سقوط جاهه عندهم وإذا خرج للناس يخرج بصورة أن فيه ورع وخشية مثل خشية العلماء وهذا هو الخبث والدعارة نعوذ بالله من ذلك .

وقال صلى الله عليه وسلم بئس العبد، عبد حال بينه وبين ثواب الله عبد من خلق يتعبد له رجاء ما في يديه فيتعب بدنه في مرضاته فيخرج من دينه وينفسخ ويقبح (الحديث)

والله أعلم

وعــن مجاهد قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إني أتصــدق بصدقة التمس بها وجه الله وأحب أن يقال لي خيراً فترل قوله جلا وعلا { فَمَن كَـانَ يَـرْجُو لِقَـاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} (١١٠) سورة الكهف

وجاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما النجاة غداً قال له لا تخادع الله قال كيف ذلك قال أن تعمل بما أمرك به وتريد به غير وجه الله، اتقوا الرياء فإن المرائي يُنادى يــوم القيامة بأربعة أسماء على رؤوس الخلائق يا كافر يا فاجر يا غادر يا خاسر ضل عملك وبطــل أجرك وإذا كان العمل خالصاً لوجه الله ثم اطلع عليه أحد لا يضره كما روي أن

رجـــلاً جـــاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبي أعمل العمل أسره فيطلع عليه فيعجبني فقال له لك أجران أجر السر وأجر العلانية والله أعلم .

قيل أن هذا محمول على أن هذا الرجل يقتدي به غيره من الناس وعلم ذلك النبي صلى الله عليه وسلم منه فقال له لك أجر العمل وأجر من اقتدى بك والله أعلم .

وقـــال الحســـن ما معناه إذا بلغ الإنسان المشيب وهو فظاً ذليق اللسان حديد النظر ميت القلـــب تـــرى بدناً بلا قلب وتسمع صوتاً بلا أنس خصب اللسان مجدب القلب هذا تمام الخسران وقال أيضاً بئس العبد ، عبد يخشع يوهم أن عنده أمانة، وإنما يتشبه بالأخيار ينهى ولا ينـــتهي يؤمر ولا يفعل إن أعطي قتر وإن مُنع لم يقدر إن صح أمن وإن مرض ندم وإن افتقر حزن وإن اغتنى فتن يرجو النجاة ولا يعمل يعجل النوم ويؤخر الصوم .

وكـــان يقال كن صوفي القلب قطني الثياب يعني إذا صار القلب صافي تقي ما يضره لباس الفاخر من الثياب وقال مطرف ابن عبد الله : البسوا ثياب الملوك وأميتوا قلوبكم بالخشية وقـــال عمـــر رضي الله عنه البس من الثياب ما لم يستهزئ بك القراء ولباس الأتقياء هو الحلال الذي ليس فيه للخلق تبعه ولا للشرع فيه مطالبة سواء كان صوف أو غيره إذا كان ليس فيه اتباع للهوى ولا روعنة والله أعلم .

باب فضائل أيام الأسبوع

عـــن عبيد الله بن رافع مولى أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال خلق الله التربة يوم السبت وخلق الجبال يوم الأحد وخلق الشـــجر يوم الإثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق الخير يوم الأربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم يوم الجمعة بعد العصر آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل .

وعن أنس قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الأيام فسئل عن يوم السبت فقال يوم مكر وخديعة قالوا كيف ذاك يا رسول الله قال لأن قريش مكروا بي في دار الندوة .

وســـئل عن يوم الأحد فقال يوم غرس وعمارة قالوا كيف يا رسول الله قال لأن فيه ابتداء الدنيا وعمارتها وسئل عن يوم الاثنين قال يوم سفر وتجارة قالوا كيف يا رسول الله قال لأن

فيه سافر شعيب عليه السلام وتجر وسئل عن يوم الثلاثاء فقال يوم دم قالوا كيف يا رسول الله قـــال لأن فيه حاضت حواء وقتل ابن آدم أخاه وسئل عن يوم الأربعاء قال يوم نحس وشـــؤم قالوا كيف يا رسول الله قال لأن فيه غرق فرعون وقومه وأهلك عادً وثمود وهو شؤم عليهم وسئل عن يوم الخميس فقال فيه قضاء الحوائج والدخول على السلاطين قالوا كـــيف يـــا رسول الله قال فيه دخل إبراهيم الخليل على نمرود وسئل عن يوم الجمعة فقال خطبة ونكاح قال كيف يا رسول الله قال فيه كانت الأنبياء تنكح والله أعلم .

فصل

وروى الزهـــري بســـنده عن النبي صلى الله عليه وسلم إنه ما كان يخرج في سفر إلا يوم الخميس وقيل أن الله أعطى يوم السبت لموسى والجمعة لأمة محمد صلى الله عليه وسلم .

وعـــن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال تفتح أبواب السماء كـــل اثنين وخميس فيغفر الله عز شأنه لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً إلا امرؤ كان بينه وبين أخـــيه شحناً يقول الله انظروا هذين حتى يصطلحا، وروي أنه صلى الله عليه وسلم لم يدع صومهما حضراً ولا سفراً ويقول إنهما يومان تعرض فيهما الأعمال والله أعلم .

فصل

في صيام أيام البيض

عـــن أبي اســـحاق عن جرير رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صيام ثلاثة أيام من كل شهر ثالث عشر ورابع عشر وخامس عشر يعدل صيام الدهر وقد صدقه الله في كتابه {مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا } (١٦٠) سورة الأنعام

وقـــيل سميت البيض لأن آدم لما هبط إلى الأرض اسود من الشمس فقال له جبرائيل صم ثلاثـــة أيـــام البيض فصام فابيض جسمه وقيل لأن العرب تسميها البيض لأن لياليها بيض بطلوع القمر والله أعلم .

وعـــن عمـــر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أفضل الصيام صيام داوود ومن صام الدهر كله فقد وهب نفسه لله عز شأنه والله أعلم .

وعن شعيب عن سعد بن إبراهيم كانت عائشة تصوم الدهر وعن سعد أنه صام قبل أن يموت أربعين سنة وعن أبي موسى الأشعري أنه صام حتى صار كأنه خلال يعنى عود فقيل له لو أجممت نفسك فقال إجمامها أريد أني رأيت السابق من الخيل المضمره وقال عمار الراهب رأيت مسكينة الطفاوية في منامي وكانت تحضر معنا مجلس العلم عند عيسى بن زاذان تجي من البصرة إلى الأبلّه فقلت لها يا مسكينة ما فعل عيسى فضحكت وقالت

قد كسي حلة البهاء وطافت بأباريق حوله الخدام

ثم حلي وقيل يا قاري اقرئي فلعمري لقد بارك الصيام

وكان عيسى قد صام حتى انحني وانقطع صوته رحمه الله .

والصيام على الجملة فيه أجور وأسرار وصحة الأبدان

وعن سلام بن قيس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صام يوماً ابتغاء وجه الله عز شأنه أبعده الله من جهنم كبعد غراب طار وهو فرخ حتى مات هرماً وقيل إن الغراب يعيش خمسمائة سنة وعن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صام يوماً في سبيل الله جعل الله بينه وبين النار خندقاً عرضه كما بين السماء والأرض .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد أصبح صائماً إلا فتحت له أبواب السماء وسبحت أعضاءه واستغفر له أهل سماء الدنيا إلى أن توارى بالحجاب والله أعلم .

وقال صلي الله عليه وسلم : لكل شيء باب وإن باب العبادة الصيام وقال صلى الله عليه وسلم بالصوم تصفوا قلوبكم

وقال أحمد الحواري قال أبو سليمان : جاءني أبو علي الأصم بحديث سرني قال يوضع للصوام مائدة يأكلون عليها والناس في الحساب فيقولون هؤلاء يأكلون ونحن نحاسب فيقال لهم طال ما صاموا وأفطرتم

وعن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : الصائمون إذا خرجوا من قبورهم تنفح من أفواههم ريح المسك وقال سفيان ابن عيينة بلغني أن الصائم لا

يحاسب على ما يفطر عليه وقال عمر رضي الله عنه ما أمس على شيء من الدنيا خلفي إلا الصيام في الهاجرة

وعـــن أبي هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم (لو أن رجلاً صام لله تطوعاً ثم أعطي ملئ الأرض ذهباً لم يستوفِي ثوابه دون الحساب والله أعلم .

فصل

في فضل قيام الليل والحث عليه

فممـــا روي عن شقيق عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قال ذكر عنه النبي صلى الله عليه وسلم (إن فلانا نام الليلة حتى أصبح فقال ذلك رجل بال الشيطان في أذنه وقيل أن معناه لم يصل في السحر وقيل أن الرجل هو عبد الله نفسه وقيل إن للشيطان سعوطاً ولعوقاً وذروراً فإذا سعط العبد ساء خلقه وإذا لعقه ذرب لسانه بالشر وتتبع أحوال الناس فيمكر بـــه وإذا ذره نام بالليل حتى يصبح ولم يصلي في السحر وصلاة الليل في حق النبي صلى الله عليه وسلم نافلة وقربة وكرامة وفي حق أمته كمال وإتمام للفرائض .

وفي بعض الأخبار أن داوود عليه السلام سأل ربه قال إلهي أي وقت أفضل يعني من الليل فـــأوحي الله عز شأنه إليه لا تقم أول الليل ولا آخره فإنه من قام أول الليل نام آخره ومن قـــام آخره لم يقم أوله ولكن قم وسط الليل حتى تخلو بي وأخلو بك وارفع إليّ حوائجك وقـــيل إن داوود ســـأل جبرائيل عن أفضل الليل فقال لا علم لي إلا أن العرش يهتز عند السحر وقال الحسن ما عمل عبد عملاً أقرّ لعينه ولا أخفّ لظهره ولا أطيب لنفسه من قيام في جـــوف الليل يداوم عليه أو إنفاق مال في حق وقال أبو الدرداء : يأيها الناس إني لكم ناصح شفيق صلوا في ظلمة الليل لوحشة القبور وصوموا لحر يوم النشور وتصدقوا لخوف يوم عسير .

وقـــال أبو هريرة رضي الله عنه: أنا أجعل الليل ثلاثة ثلث أنام وثلث أصلي وثلث أتذكر الحديث .

وعـــن أبي هريـــرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يترل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا ثلث الليل الآخر فيقول هل من مستغفر فأغفر له هل من داع فيستجاب له هل من سائل فيعطى مسألته .

فمن ثم كانوا يستحبون الصلاة من آخر الليل وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وســـلم إن في الليل ساعة لا يوافقها عبد يسأل الله فيها شيئاً إلا أعطاه إياه قالوا وهذا عام مـــثل ساعة الجمعة ومثل ليلة القدر وقيل إن في الليل وقتاً لا بد أن ينام كل عين إلا الحي القيوم الذي لا يموت ولا ينام فلعلها هذه الساعة وكان صلى الله عليه وسلم إذا سمع النداء الأول وثب لا والله ما قالت عائشة قام بل وثب .

وعن مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت أن النبي صلى الله عليه وسلم يعجبه الدائم من العمل وعن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " صلوا في الليل ولو أربعاً ولـــو ركعتين ما من أهل بيت يعرف لهم صلاة بالليل إلا نادهم منادي يا أهل البيت قوموا إلى صـــلاتكم وقـــد ذكر الله تعالى القائمين في كتابه قال تعالى : {كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُون، وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ } (سورة الذاريات ١٧-١٨)

وقـــال تعالى {وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا} (٧٩) سورة الإسراء

وقال صلى الله عليه وسلم إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة نادى منادٍ ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم ينادي أين الذين لا تلهيهم تجارة ولا بـــيع عن ذكر الله ثم ينادي ليقم الذين يحمدون الله في السراء والضراء فيقومون وهم قلـــيل وقال صلى الله عليه وسلم : استعينوا بالطعام على صوم النهار وبالقيلولة على قيام الليل والله أعلم .

وقال صلى الله عليه وسلم : (إن صاحب النوم يجئ مغلساً وما نام أحد طول ليلة إلا بال الشـــيطان في أذنـــه وبكى صلى الله عليه وسلم حتى بل بالدموع منكبيه وحتى بل جنبيه وحقويه فأتاه بلال فقال بأبي وأمي ألم يغفر لك ، قال صلى الله عليه وسلم أفلا أكون عبداً

شكوراً ، إنه قد نزل علي في هذه الليلة {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ} (١٩٠) سورة آل عمران .

وقال يعمر ابن بشير أتيت باب عبد الله ابن مبارك فوجدته يصلي ويقرأ {يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ} يرددها حتى طلع الفجر وقال صلى الله عليه وسلم : الشتاء ربيع المؤمن قصر نهاره فصامه وطال ليله فقامه

وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(من صلى ست ركعات بعد المغرب لم يتكلم بينهن عدلن بعبادة ثنتي عشرة سنة ، وفي رواية لم يتكلم بينهن بسوء .

وفي حديث ابن عباس من صلى أربع ركعات بعد المغرب قبل أن يتكلم رفعت في علّيين ، ويسن أن يقرأ في الركعتين بعد المغرب قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد ليسرع بهما لأنه قيل إنهما يرفعان مع صلاة المغرب .

وعن سعيد ابن جبير عن ثوبان قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من عكف نفسه ما بين المغرب والعشاء كان حقاً على الله أن يبني له قصرين في الجنة ويغرس له غرساً. وعن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من صلاة أحب إلى الله من صلاة المغرب بها يفتح العبد ليله ويختم بها نهاره وروي أن أنس ابن مالك رضي الله عنه كان يصلي ما بين المغرب والعشاء ويقول هي ناشئة الليل .

وعن عبد الرحمن بن الأسود عن عمه قال ما دخلت على ابن مسعود رضي الله عنه إلا وجدته يصلي بين المغرب والعشاء ويقول هي ساعة غفلة وقيل نزلت (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) أنها الصلاة بين العشائين .

فصل

في الصلاة قبل المغرب

وعن أنس رضي الله عنه قال كنا نصلي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد غروب الشمس قبل المغرب ركعتين فقلت له هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاهما فقال كان يرانا فلا يأمرنا ولا ينهانا وجاء في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلوا قبل المغرب ثم قال لمن شاء خشية أن تكون سنة .

وعن ابن عباس قال من صلى أربعاً بعد العشاء كان كمن أدرك ليلة القدر في المسجد الحرام وقال كعب من صلى بعد العشاء أربع ركعات بقراءة حسنة كان له من الأجر مثل ليلة القدر وقيل يعني كأنما صلاها في ليلة القدر والله أعلم .

فصل

فيما جاء في فضيلة الوتر

وروى نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلاً سأله عن قيام الليل فقال مثنى مثنى فإذا خشيت الصبح فواحدة توتر لك ما قبلها وكان أبو بكر يوتر أول الليل وعمر يوتر في آخره وقال صلى الله عليه وسلم أبو بكر حذر وعمر قوي . وقد روي عن عمر رضي الله عنه قال الأكياس يوترون أول الليل والأقوياء آخره وروي أن عثمان رضي الله عنه يقول أما أنا فأوتر أول الليل فإذا استيقظت صليت ركعة شفعت بها وترى فما شبهتهما إلا بالغريبة من الإبل ضبتها إلى أخواتها ثم أوتر في آخر صلاتي .

وقالت عائشة من كل الليل أوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم وينتهي وتره إلى السحر . وكان بعض أهل العلم يرى نقض الوتر وبعضهم لا يراه قال الفضل بن زياد قلت لأحمد أفتراه ينقض الوتر قال لا وإن نقضه فلا بأس قد فعل ذلك عمر وعلي وأسامة وابن عمر وابن عباس وأبو هريرة وصفته أنه إذا أوتر أول الليل ثم نام ثم قام يصلي ركعة واحدة ينوي بها نقض وتره والشفاعه ويسلم منها فيصير كأنه صلى قبله شفعاً ثم يصلي ما شاء مثنى مثنى ثم يوتر بركعة واحدة قبل طلوع الفجر ويكشف ذلك فعل عثمان رضي الله عنه كما تقدم ولا يترك الوتر على حاله لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا وتران في ليلة والله أعلم

فصل

في دعاء الوتر

فإذا رفع رأسه من الركوع قال اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونؤمن بك ونتوكل عليك ونثني عليك الخير كله ونشكرك ولا نكفرك ونخلع ونترك من يفجرك اللهم إياك نعبد ولك

نصلي ونسجد وإليك نسعى ونحفد ونرجو رحمتك ونخشى عذابك إن عذابك الجد بالكفار ملحق اللهم اهدنا فيمن هديت (الخ) وإن قال غير ذلك دعاء خاص أو عام فهو طيب لا سيما إذا كان في الكتاب والسنة.

المعنى ولا نكفرك أي ما نكفر بك ونخلع من يفجرك يعني نبعد عن الفجار وكل مفتون حتى ما نفتن معهم وحتى لا نعد منهم .

وإليك نسعى أي نمشي سريعاً في الطاعة نبادر الوقت ، ونحفد يعني يصير للمشي أثر في الأرض من القوة قوله الجدّ يعني الصدق ملحق يعني لآحق للكفرة ولو حصل لهم إمهال والله أعلم .

فإذا فرغ مريده على وجهه كما في الحديث وفي رواية يمر هما على صدره .

فصل

ولما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأى حبلاً ممدوداً بين عمودين قالوا هذا لزينب إذا فترت في قيامها تعلقت به فقال صلى الله عليه وسلم يصلي أحدكم نشاطه فإذا فتر فليقعد . وروى عن ابن عباس أنه يكره النوم قاعداً وكان ناس من الصالحين يكره أن يتعمد النوم ولا ينام حتى يغلبه النوم وكان وهب ابن منبه إذا غلبه النوم اتكأ على صدره وخفق قليلاً ثم يفزع إلى القيام ثلاثين سنة .

وسئل بعضهم عن وصف الأولياء والأبدال فقال أكلهم فاقة يعني قليل ونومهم غلبه يعني حتى يغلبهم النوم وكلامهم ضرورة يعني مما لابد منه وصمتهم حكمة وقال بعضهم أكلهم أكل المرضى ونومهم نوم الغرقى . وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال صل في الليل ولو قدر حلب شاة .

وقيل إن صلاة أول الليل للمتهجدين وقيام وسطه للقانتين وقيام آخره للمصلين والقيام عند الفجر للغافلين .

وعن يوسف ابن مهران أنه قال بلغني أن تحت العرش ملكاً في صورة ديك برآثنه من لؤلؤ فإذا مضى ثلث الليل ضرب بجناحيه وقال ليقم المصلون فإذا مضى نصف الليل ضرب بجناحيه وقال ليقم المتهجدون فإذا مضى ثلثا الليل ضرب بجناحيه وقال ليقم القانتون فإذا

طلــع الفجر قال ليقم الغافلون وعليهم أوزارهم وقال بعض العارفين إن الله تعالى ينظر في الأسحار إلى قلوب المتيقظين فيملأها نوراً فترد الفوائد على قلوبهم فتستنير .

وروي أن الله قــال إن لي عــباد يحـبوني وأحبهم وأشتاق إليهم ويشتاقون إليَ ويذكروني وأذكــرهم يحنون إلى ذكري كما تحن الطير إلى أوكارها عند الغروب أول ما أعطيهم أن أقذف في قلوبهم من نوري .

وقــد روي أن عــثمان رضي الله عنه كان يُحيي الليل بركعة يختم فيها القرآن وذكر عن أربعــين رجــلاً من التابعين يُحيون الليل ويصلون صلاة الغداة بوضوء العشاء أربعين سنة مــنهم سعيد ابن جبير وصفوان بن سليم وأبو حازم ومحمد ابن المنكدر والفضيل ووهيب الوردي وطاووس ووهب ابن منبه (الخ) رضوان الله علينا وعليهم .

ومن غلبت عليه غفلته وأحاطت به خطيئته وقيدته زلته وذنوبه وهو يحب الدخول في زمرة القانتين المستغفرين بالأسحار فليستغفر الله عند النوم ثلاثاً يقول أستغفر الله العظيم الذي لا إلــه إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ويقرأ آية الكرسي وآخر البقرة وقل يا أيها الكافرون فــإن الله يوقظــه إن شــاء الله ويؤهله لقيام الليل وليقل عند النوم اللهم أيقظني في أحب الســاعات إلــيك واستعملني بأحب الأعمال لديك اللهم لا تُنسيني ذكرك ولا تجعلني من الغافلين والله أعلم .

وورد في خبر وقيل حديث أنه قال من سره أن يستيقظ بالليل فليقل عند نومه اللهم ابعثني لذكــرك وشــكرك وتلاوة كتابك ثم يُسبح ثلاثاً وثلاثين ويحمد ثلاثاً وثلاثين ويكبر أربعاً وثلاثين ومن أُنعم عليه بقيام الليل فليتهجد في المداومة عليه مع القدرة لأن أحب الأعمال إلى الله أدومهــا وإن قل، وإذا قام يقول الحمد لله الذي أحياني بعد ما أماتني وإليه النشور ويقرأ آخر آل عمران .

وإذا قــام إلى صلاته فليقل المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم اللهم لك الحمد أنت نور الســموات والأرض إلى آخــر الحديــث، والحديث عنه صلى الله عليه وسلم اللهم رب جــبرائيل ومكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين

عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم .

ويستحب أن لا ينام حتى يقرأ ثلاثمائة آية ليكتب في زمرة العابدين وسورة الفرقان والشعراء ثلاثمائة أية فإن لم يحسن فليقرأ من سورة الطارق إلى آخر القرآن منهن ثلاثمائة أية وإن قرأ ألف آية فهو أكمل من سورة الملك إلى آخر القرآن ألف آية .

ومما يستعان به على قيام الليل أشياء منها أكل الحلال والتوبة وخوف الوعيد ورجاء الموعود ويقطع عن قلبه هم الدنيا وهم الخلق وقال رجل للحسن البصري عجزت عن قيام الليل فقال ذنوبك قيدتك وقال سفيان الثوري حُرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنب فعلته قيل ما هو قال رأيت رجلاً يبكي فقلت في نفسي هذا يرائي وقيل كم من كلمة منعت بسببها قيام الليل وكم من نظرة منعت بسببها قراءة سورة ، فبحسن التفقد يُعرف المزيد من النقصان .

وقال أبو سليمان لا يفوت أحداً صلاة جماعة إلا بذنب وكان يقول الإحتلام في النوم عقوبة والجنابة البعد ومما يعين على قيام الليل قلة الطعام والشراب قال عون بن عبد الله كان في بني إسرائيل فتيان يصومون ويتعبدون فكان إذا حضر فطرهم قام فوق رؤوسهم قائم فيقول لا تأكلوا كثيراً فإنكم إذا أكلتم كثراً نمتم كثيراً وإذا نمتم كثيراً صليتم قليلاً وقيل اتفق قول سبعين صديقاً إن كثرة النوم من كثرة الشرب، ومما يعين على قيام الليل كثرة الهم والغم والحزن مما يذكره من الموت وما بعده فإن هذا يحيى القلب ولا يكثر التعب أيضاً في النهار وينبغي لمن قام أول الليل أن ينام آخره لأجل ذهاب صفرة الوجه لأن هذا باب غامض وهو من الشهوة الخفية إذا أحب أن تعرف صفرة وجهه لقيامه في الليل .

فصل

ومن فاته قيام الليل بنوم أو شغل فإن قضاه ما بين طلوع الشمس إلى زوالها كان كمن صلاه في الليل قال تعالى {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا} (٦٢) سورة الفرقان، أي جعلها خلفين يتعاقبان في الفضل، وقد تبين أن أوراد

الليل خمسة أحدها ما بين العشائين والثاني ما بين العشاء إلى النوم والثالث جوف الليل والرابع الثلث الأخير والخامس السحر وهو للإستغفار والتفكر والدعاء والإعتبار .

وأما أوراد النهار خمسة أيضاً أحدها من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس والثاني من صلاة الضحى وما في معناها إلى الزوال والثالث أربع ركعات بعد الزوال وقيل أن أبواب السماء تُفتح لها والرابع ما بين الظهر والعصر والخامس بعد العصر إلى الغروب والله أعلم .

وأول النهار يجلس بعد الصلاة إلى طلوع الشمس سواء يقرأ أو يعلم أويتعلم وورد إن أفضلها كما قال صلى الله عليه وسلم صلاة الأوابين حين ترمض المفاصل قال القاسم ابن محمد كانت عائشة تصلى الضحى ثمان ركعات وتطيل ذلك .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من صلى الضحى ثنتي عشر ركعة بنى الله له قصراً في الجنة من ذهب، وورد من صلى ركعتين لم يكن من الغافلين ، ووقت صلاة الضحى من طلوع الشمس إلى قرب الزوال وإنما كره بعض الصحابة مثل عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه إنما قصدهم أن لا تشبه بالفرائض فيعتقد بعض الناس وجوبها فطلبوا الخِفة عليهم ، وفي حديث أبي أيوب الأنصاري قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يواظب على أربع ركعات قبل الظهر فسئل فقال إن أبواب الجنة تفتح عند زوال الشمس فلا ترتج حتى تقام الصلاة .

فصل

وأما ما بين الظهر والعصر فقد روي عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أحيا ما بين الظهر والعصر أحيا الله قلبه يوم تموت القلوب والله أعلم . وكان ابن عمر يحيي ما بين الظهر والعصر وقال إبراهيم النخعي كانوا يشبهون الصلاة بين الظهرين مثل الصلاة بين العشائين وأنهما مثل صلاة الليل وكان ذلك دأب كثير من العباد يصلون في ذلك الوقت وينقطعون إلى الحق في عز شأنه .

هذا الوقت وهي وقت الخلوة بالرب عز شأنه ويستحب الإعتكاف بين الظهر والعصر وكل وقت يدخل المسجد ينوي بقلبه الإعتكاف ولو كان لبثه قليل .

وقال سعيد ابن المسيب عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (لا يزالون المصلون لأربع قبل العصر حتى يغفر الله عز وجل لهم مغفرة حتماً) .

فصل

والصلوات المكتوبة أول ما فرضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسين ثم خفف عليه وعلى أمته فصارت خمساً حكمة من الله عز شأنه كما أسقط عنه ثبوت واحد لعشرة من المشركين في الجهاد إلى ثبوت واحد لاثنين وقيل إن الأنبياء قبل نبينا صلى الله عليه وسلم يتعبدون عند ورود هذه الأوقات قيل إن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن صلاة الفجر فأخبره أن أول من صلى الفجر آدم والظهر إبراهيم حين نجاه الله من النار والعصر صلاها يعقوب حين أخبر بيوسف والمغرب صلاها داوود حين تاب الله عليه والعشاء صلاها يونس حين خرج من بطن الحوت والله أعلم .

وقد وصف بعض العارفين الفجر الأول والفجر الثاني أن الفجر الأول هو بدوّ سلطان الشمس وشعاعها إذا ظهرت من وراء الأرض وأما الفجر الثاني فهو انشقاق شفق الشمس وهو بدو بياضها الذي تحته حمرة وللشمس شفقان شفق عند طلوعها وشفق عند غروبها .

وأما وقت الظهر فأوله زوال الشمس ويعرف فيما إذا نصب شيء معتدل ثم صارت الشمس على رأسه لا تزيد ولا تنقص فهو وقوفها لا تحل فيه صلاة فإذا زالت قليل دخل وقت الظهر فإذا صار الظل طول المنصوب فهذا آخر الوقت فإذا زاد الظل عن مثل المنصوب قليل دخل وقت العصر فإذا زاد صار مثلي المنصوب فهذا آخر وقت العصر .

فصل

وذكر أهل العلم القدماء أن أقل ما تزول عليه الشمس في (حزيران) على قدمين وأكثر ما تزول عليه في (كانون) على ثمانية أقدام وتزول في (إيلول) على خمسة أقدام وفي تشرين الأول على ستة أقدام وفي (تشرين الآخر) على سبعة أقدام وفي (كانون الأول) على ثمانية أقدام وهو منتهى قِصر النهار وطول الليل ثم ينقص الظل ويزيد النهار فتزول في كانون الآخر على سبعة وتزول في (شباط) على ستة وتزول في (آذار) على خمسة وذلك استواء

الليل والنهار وتزول في (نيسان) على أربعة وفي (أيار) على ثلاثة وفي (حزيران) على قدمين فذلك منتهى طول النهار، هذا أكثر ما تزول عليه الشمس في شهور السنة كلها والله أعلم ما لا تدركه أحساسنا ولا تنتهي نحوه علومنا .

وهذه جهة من جهات الوصول إلى معرفة الزوال وليس كل أحد يدرك ذلك بل كل من غلب على ظنه زوال الشمس وجب عليه فعل صلاة الظهر .

والناس في الأوقات على ثلاثة أضرب أحد فرضه اليقين وهو من يعرف الدقائق والساعات وسير الكواكب وأحد فرضه الإجتهاد والتقدير وأحد فرضه التحري والتأخير بجهده إلى أن يغلب على ظنه دخول الوقت وهو مثل المسجون في محل لا يُعرف ولا يسمع أذان لقوله صلى الله عليه وسلم (إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم) ومعرفة الزوال يصعب وقد ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل جبرائيل أزالت الشمس فقال لا نعم فقال كيف هذا قال من قولي لك لا نعم قطعت من الفلك خمسين ألف فرسخ والله أعلم بصحته، وإذا كانت الشمس بين عينيك بالشتاء فقد زالت بلا شك وهذا يكون لأهل إقليم العراق وخرسان الذين يصلون إلى الركن الأسود وباب البيت .

فصل

وورد أحاديث كثيرة في السنن بعد الصلاة وورد كل صلاة سنتها قبلها مثل الفجر وبعضها سنتها بعدها مثل المغرب إلا صلاة الظهر لها سنة قبلها وبعدها قيل لعل الحكمة أن المدة بينها وبين الفجر طويلة والله أعلم .

وورد في فضل السنة بعد المغرب وتكون في البيت وورد عن بعض أهل العلم أنها لا تجزئ في المسجد ويستحب تعجيلها لما روى حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال عجلوا بالركعتين بعد المغرب لترفعهما الملائكة مع المكتوبة ، وروي عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصليهما في بيته وقال سهل ابن سعد كانوا يبتدرون باب المسجد فيصلونهما في بيوتهم .

وروي عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الصلوات مرضاة الرب وحب الملائكة وسنة الأنبياء ونور المعرفة وأصل الإيمان وإجابة

الدعــاء وقــبول الأعمال وبركة في الرزق وراحة الأبدان وسلاح على الأعداء وكراهية الشيطان وشفيع لصاحبها عند ملك السموات والأرض وسراج في قبره وفراش تحت جنبه وجــواب لمنكر ونكير ومؤنس له في قبره إلى يوم القيامة ولباس على بدنه وستراً بينه وبين الـنار ومفـتاح للجنة وعن أنس بن حكيم الضبي قال قال لي أبو هريرة إذا أتيت أهلك فاخـبرهم أني سمعـت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة المكتوبة (الحديث)

وقال في حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما بين صلاة الجماعة والفذ سبع وعشرين درجة.

وعـن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عثمان ابن مظعون من صلى الصبح في جماعة كان له خمس وعشرين صلاة متقبلة، يا عثمان من صلى لله العصـر في جماعة ثم ذكر الله حتى تغرب الشمس فكأنما أعتق نسمة من ولد إسماعيل يا عثمان من صلى المغرب في جماعة كانت له خمس وعشرون صلاة يا عثمان من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام ليلة القدر.

وينبغي للرجل إذا أقبل إلى المسجد أن يقبل بخوف ووجل وخشوع وخضوع وتكون عليه سـكينة ووقار وأدباً غير ما كان عليه قبل ذلك من حالات الدنيا وأشغالها ولا يكون فيه عجر وكبر وفخر ورؤية نفس وإذا دخل ينوي الإعتكاف ولو المدة قليلة.

قالت عائشة والناس عكوف في المسجد وليحذر المرء في العجب في العمل والقول والمداومة عـلى الخير وجميع العبادة لأن ذلك يسقطه من عين الله ويبعده من قربه، وقد جاء في الخبر أن إبراهيم عليه السلام أحيا ليلة بقيام فقال نعم الرب رب إبراهيم ونعم العبد إبراهيم فلما قـدم طعامـه لم يجد أحداً يأكل معه فأخرج طعامه إلى الطريق ليمر به أحد يأكل معه فترل ملكان من السماء فأقبلا نحوه فقال نتقدم إلى هذه الروضة فإن فيها عين ماء فلما وصلاها فإذا هي غائرة فقالا له ادع الله أن يعيد الماء فيها فدعا الله فلم يجد شيئاً فدعا أحدهما فجاء المـاء وأخبراه أنهما ملكان وإن إعجابه بقيام ليله رد دعاءه عليه فلم يجب، فإذا كان هذا

الخلــيل فكيف بغيره، بل يجب على الإنسان أن يعتقد أن جميع عبادته من توفيق الله ونعمته وفضله والله أعلم .

فصل

وقيل أوحى الله إلى عيسى عليه السلام : إذا قمت بين يدي فقم مقام الخائف الذليل الذام لنفسه فإنها أولى بالذم وأوحي إلى موسى كذلك .

وكان ابن سيرين إذا قام إلى الصلاة ذهب دم وجهه من الخوف ، وكان مسلم ابن يسار إذا دخــل في الصلاة لم يسمع شيئاً وكان ابن الزبير إذا قام للصلاة كأنه عود من الخشوع ، وكــان وهــب إذا صلى كأنه يطلع على جهنم وكان عتبه الغلام إذا قام يصلى في الشتاء ينصــب العــرق منه وكان عمار ابن الزبير يصلي ونعليه عنده فنظره إلى جمال شركه فلما سلم رمى بهما ولم يلبس نعلين حتى مات وكان الربيع يصلى وفرسه مربوط عنده فجاء لص وحله وأخذه وقال إني رأيته ولكن أنا في شيء أحب إلي منه ولما كان آخر النهار رد فرسه إلــيه ،وقــد وصف الله تعالى الخاشعين لله في الصلاة في قوله تعالى {الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ} (٢) سورة المؤمنون، قال الزهري سكوت المرء في صلاته وقيل الذي لا يعلم من عن يمينه وشماله في الصلاة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم إن في الصلاة شغلاً .

وقــد ذم الله الســـاهي عن صلاته قال تعالى {الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ } (٥) سورة الماعون ،

قال ابن عباس رضي الله عنهما والله ما تركوها ولكن أخروها عن أوقاتها والصلاة خطرها عظــيم وأمرها جسيم وأول ما أوحى الى نبيه صلى الله عليه وسلم بعد النبوة هي الصلاة قــبل كــل عمل وقبل كل فريضة في آيات كثيرة منها قوله تعالى {اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ } (٤٥) سورة العنكبوت

وأوصــى صــلى الله عليه وسلم عند موته فقال الله الله في الصلاة وما ملكت أيمانكم، فتارك الصلاة يكفر عند إمامنا أحمد رحمه الله ويستتاب ثلاثة أيام كالمرتد .

وروي عن جعفر بن محمد عن أبيه قال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبصر رجلاً ينقر صلاته كما ينقر الغراب فقال لو مات هذا مات على غير دين محمد صلى الله عليه وسلم .

وعن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ترك الرجل صلاته متعمداً كُتب اسمه على باب النار فيمن يدخلها .

وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا من نام عن صلاة العتمة تقول الملائكة لا نامت عيناك ولا قرتآ حبسك الله بين الجنة والنار كما حبستنا . وعن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين الرجل وبين الكفر والشرك إلا ترك الصلاة . وقال كثير من أهل العلم إذا مات تارك الصلاة لا يصلى عليه ولا يورث وهذا مذهب الإمام أحمد وطائفته والله أعلم .

فصل

ومما روي عن الحسن البصري قال كان العلماء من الصحابة رضي الله عنهم يقولون خمس وأربعون خصلة مكروهة في الصلاة وهي التنحنح عمداً والتشاغل عمداً والتثاؤب ورفع الرأس إلى السماء ومنها الصاق صدره إلى فخذيه في السجود والإختصار والتمطي وهو التحفظ والتنفس الشديد وتغميض العينين والإلتفات والإقعاء والرد على الإمام إلا قليل وافتراش الذراعين وضم الإبطين إلى الجنبين وتفريق الأصابع بل يضمهما ووضع اليدين دون الركبتين ووضع القدمين احدهما على الآخر ورفعهما عن الأرض والسدل والتخليل والتلطم وبلع الطعام لو مقدار حبة والقلس والنفث والنفخ وتسوية الحصا والمشي عرضاً ورفع الصوت ومعرفتك من على يمينك وشمالك والإيماء والإشارة لغير ضرورة ، وبلع الجشاء والاستعال يعني الكحة عمداً والتمخط والبزق ونظر الثوب ومسح التراب عن الجبهة قبل السلام وقعود الإمام في المحراب مدة ولم ينصرف إلى جهة الجماعة والعبث في اللحية والعقد في الأصابع وفرقعتها .

ورأى الحسن رجالً يعبث في الحصاء وهو في الصلاة ويقول اللهم زوجني من الحور العين فقال الحسن بئس الخاطب أنت تعبث وتخطب وجاء في الخبر أن بعض المصلين يكتب له أربعمائة صلاة واحد له مائتا صلاة واحد له مائة وخمسون واحد سبعون واحد خمسون واحد سبع وعشرين صلاة واحد عشر واحد بواحدة والله أعلم .

وينبغي لكل مصلي أن يقدم النية بقلبه وتيقن قيامه بين يدي الله تعالى ولا يشك أن الله يراه قال تعالى {الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ} (٢١٨) سورة الشعراء ، وقوله صلى الله عليه وسلم (اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)

وإذا قرأ الفاتحة يستحضر قوله تعالى {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} (٥) سورة الفاتحة , ويعقل ما يقول وقال بعضهم إذا قمت في الصلاة كأن الصراط تحت قدميك والجنة يمينك والنار يسارك ترجو الله إذا نصحت في صلاتك الفوز بالجنة وإن أسأت تخاف من عقاب الله في النار . ويصلى صلاة مودع وقال الحسن البصري ينبغي أن يسبح في ركوعه وسجوده أدنى شيء سبع والوسط خمس والأقل ثلاث .

وإذا جلس للتشهد يجعل فكره ونظره إلى أصابعه فإنها فدية للشيطان ويدعو الله قبل السلام لأنه محل إجابة قال صلى الله عليه وسلم وأدبار الصلاة المكتوبة. قال العلماء دبر الشيء آخره يعني قبل السلام . وإن قال اللهم آت نفسى تقواها وزكها أنت خير من زكاها فحسن والله أعلم .

فصل

فيما يختص بالإمام ولا ينبغي للرجل أن يكون إماماً حتى تكون فيه هذه الخصال التي نذكرها إن شاء الله تعالى وهي أن لا يحب أن يتقدم وهو يجد من يكفيه ذلك . وجاء في حديث إذا أمّ القوم رجل وفيهم من هو أفضل منه لم يزالوا في سفال . وأن يكون قارئاً لكتاب الله فقيهاً في دين الله بصيراً بالسنة ويكون حافظاً لسانه من الغيبة عارفاً بمواقيت الصلاة ويحتمل من يتكلم فيه ويبصر على من يجهل عليه ويعلم أنه قد بلي بشيء عظيم وليكن همه ما قد كلف به ويكون تائباً نادماً على ما مضى من ذنوبه ولا يتكبر على من خلفه ولا يتعصب لنفسه ولا يكون فيه حقد على أخيه ولا يحب مدح الناس له ولا يخص نفسه بدعاء بل يعم ولا يتقدم وفيهم أحد يكره إمامته بحق .

ولا ينبغي أن يكون إماماً وهو يحب الفتنة وأهلها وأهل المعاصي ولا يحب الرئاسة وقد نقل عن الأكابر من السلف أنهم كرهوا الإمامة حب للخمول وتخفيفاً وخوف من التقصير ، وينبغي للإمام أن ينوي قبل التكبير بقلبه ويلتفت يميناً وشمالاً وقد كان صلى الله عليه وسلم

لا يكبر حتى يلتفت يميناً وشمالاً فيأمرهم بتسوية الصفوف ويقول لا تختلفوا فتختلف قلوبكم .

وروي أن بلالاً كان يسوي الصفوف ويضرب عراقيبهم بالدرة حتى يستووا وقال بعض العلماء أنه كان يفعله في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وينبغي إذا صلى إلى سترة إن يدنو منها وإذا مرّ بينه وبين سترته كلب أو حمار وامرأة قطع صلاته ويعيد وإن كان غير ذلك قطع فضل الصلاة ولا يعيد والله أعلم .

وقد جاء في حديث كل مصل راع ومسئول عن رعيته فعلى الإمام النصيحة لمن خلفه وينهاهم عن المسابقة ويحسن أدبهم ويجب على المأموم أن يقف يمين الإمام ولا يقف عن يساره ولا خلفه وإذا جاء والأمام راكع كبر تكبيرتين إن أمكنه ذلك وإلا واحده وينويها تكبيرة الإحرام وتدخل معها تكبيرة الركوع وإذا دخل والإمام في التشهد دخل معهم لأجل يحصل له فضل الجماعة وينبغي للمأموم أن تكون أفعاله بعد خلوص الإمام في كل ركن .

وجاء أحاديث كثيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فمنها أنه قال أما يخاف الذي يرفع رأسه قبل الإمام أن يحول الله رأسه رأس حمار إلى غير ذلك من الأحاديث وفي رواية أخرى أويحول الله رأسه رأس خنزير والله أعلم .

ومما يختص بالمؤذن أن يصلح من لسانه ولا يلحن وأن يكون عارفاً بالأوقات ولا يؤذّن وهو جنب ولا يؤذن قبل دخول الوقت إلا الفجر ويحتسب بأذانه وجه الله ولا يأخذ على أذانه أجر .

فصل

وقال الإمام أحمد رحمه الله ورضي عنه: واعلموا أن كثيراً من الناس يوم القيامة ما تكون لهم صلاة لسبقهم الإمام بالركوع والسجود والرفع والخفض ويجب على من رأى من يخل في صلاته أن يعظه ويعلمه ليصلح فيما بقي ويستغفر مما مضى فإن لم ينصحه وهو يقدر كان شريكه في الإثم لأنه جاء في الخبر ويل للعالم من الجاهل حيث لا يعلمه . وعن ابن مسعود

قال من رأى مسيء في صلاته فلم ينهه شاركه في وزرها فيكون موافقاً للشيطان لأنه يحب أن يسكت عن النصيحة .

واعـلم أن جميـع مـا حصل من الإخلال في الصلاة وغيرها لسكوت أهل العلم والفقه والبصر عن النصيحة والتعليم ومن العجب أن الرجل لو رأى من يسرق من إنسان مسلم أو غيره لم يملك نفسه حتى ينكر عليه وهو يرى من يسرق صلاته ويسكت عنه .

فصل

وأما صلاة الخاصة الإيقاض الخاشعين حُرّاس القلوب فصفتها ما رُوي أن يوسف ابن عصام مرّ على حاتم الأصم وهو يعض الناس فقال لأصحابه قوموا بنا إليه نسأله عن الصلاة فقام إلـيه وقال رحمك الله أسلك عن أمر الصلاة فقال حاتم هو أن تقوم إليها بالأمر وتمشي إلى المسـجد بالإحتسـاب وتدخل فيها بالنية وتكبر بالتعظيم وتقرأ بالترتيل وتركع بالخشوع وتسجد بالتواضع وتشهد بالإخلاص وتسلم بالرحمة وأن تجعل الجنة كأنها عن يمينك والنار شمالك والصراط تحت قدميك والميزان بين عينيك فقال من أين لك هذا قال أملاه علينا أبو حازم رحمه الله .

وقـال رجـل لأبي حـازم ما هو مفتاح الصلاة قال الوضوء قال فما مفتاح الوضوء قال التسـمية قال فما مفتاح التسمية قال النية قال فما مفتاح النية قال اليقين قال فما مفتاح الـيقين قال التوكل قال فما مفتاح التوكل قال الخوف قال فما مفتاح الخوف قال الرجاء قال فما مفتاح الرجاء قال الصبر قال فما مفتاح الصبر قال الرضاء قال فما مفتاح الرضاء قال الطاعة والإعتراف قال فما استفدت هذا قال بالتوفيق من الله فقال وفقنا الله وإياك لما يحب ويرضى ثم والله لقد أكملت مفاتيح الجنة وما أبقيت على نفسك حجة يا أبا حازم.

فصل

في صـلاة الإستسـقاء وهي سنة يخرج لها الإمام كما يخرج للعيدين ضحى ، ويخرج إليها بثـياب الـبذلة مـع الخشوع والتضرع والإستكانة والإنكسار ويخرج الشيوخ والعجائز

والصـــبيان وأصـــحاب العاهـــات وأن يخرجوا من المظالم وحقوق الناس ويكثروا الصدقة ويجددوا التوبة ولا يبارزوا الله بالمعاصي وكان عمر رضي الله عنه يتوسل بدعاء العباس .
وحـــبس المطر بسبب شؤم العصاة من بني آدم ولهذا إذا مات الكافر يلعنه كل شيء حتى شاة القصاب والسكين على حلقها تقول هو الذي منعنا القطر بسببه وهو تفسير قوله تعالى : { وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ } (١٥٩) سورة البقرة

فإن الآدمي إذا أفسد تعدّ فساده إلى كل شيء وإذا صلح تعدّ صلاحه إلى كل شيء.
ويدعو بما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً مريئاً هنيئاً مريعاً غدقاً مجللاً عاماً طبقاً، ويقول اللهم إنك أمرتنا بدعائك ووعدتنا إجابتك فقد دعوناك كما أمرتنا فاستجب لنا كما وعدتنا ولا تجعلنا من القانطين ، اللهم سقيا رحمة لا سقيا عذاب ولا محق ولا بـــلى ولا هـــدم ولا غرق اللهم ارفع عنا الجوع والعرى فإذا فرغ من الخطبة استقبل القـــبلة فحول رداءه وكذلك جميع الناس ويتركون حتى يرجعوا إلى أهليهم يفعلونه تفاءلاً ليتحول القحط كما ورد في السنة عن عياد بن تميم عن عمه أن رسول الله صلى الله عليه وســـلم خـــرج بالـــناس يستســـقي فصلى بهم ركعتين جهراً بالقراءة وحوّل رداءه ودعا واستسقى واستقبل القبلة .

فصل

وصلاة الكسوف سنة مؤكدة ووقتها من حين وجود الكسوف إلى حين التجلي إذا كسفت الشـــمس أو خسف القمر وتصلى في المسجد بخلاف الإستسقاء وينادى لها الصلاة جامعة فيصـــلي الإمـــام ركعتين وكل ركعة بعدها ركعة تكون أربع ركعات هذا هو المتواتر يقرأ بـــالأولى بقـــدر الـــبقرة والثانية بقدر سورة آل عمران ويطيل الركوع والسجود وتكون الركعتين الآخرتين على النصف من قبلهما .
وروي أن طـــاووس رحمـــه الله لما كسفت الشمس بكى حتى كاد يموت ، ومن كان بالله أعرف كان منه أخوف لأن هذه آيات محكمة مدبره ولا يرهب من عذاب الله إلا أهل محبته

فصل

وأما صلاة الخوف فلها شروط أربعة أن يكون العدو مباح للقتال والثاني أن يكون في جهة القبلة والثالث أن لا يؤمّن هجومه والرابع أن يكون في القوم كثرة يمكن تفرقتهم طائفتين فتجعل إحدى الطائفتين بإزاء العدو والأخرى خلف الإمام فيصلي بها ركعة فإذا قام إلى الثانية فارقته الطائفة وصلت ركعة لأنفسها ناوية للمفارقة فتسلم وتمضي إلى وجه العدو فتأتيّ الطائفة الأخرى فتحرم بالصلاة خلف الإمام فتصلي معه الركعة ويجلس الإمام وتقوم هي فتصلي الركعة الأولى وتجلس وتتشهد ويسلم بهم الإمام غير أنه يطيل القراءة بقدر ما تتم الطائفة الركعة الثانية .

باب الجنائز

يستحب لكل مؤمن موقن عاقل أن يكثر ذكر الموت ويستعد له ويقدم له ويكون على اهبة وترقب ويجدد التوبة كل وقت ويحاسب نفسه ويكتب وصيته ولا يكون غافلاً عن هذا الأمر المتيقن العام الشامل لكل الخلق لا بد من مجيئه وهجومه وقدومه وكأس لا بد من شربه قال صلى الله عليه وسلم (أكثروا من ذكر هادم اللذات) وقال صلى الله عليه وسلم أتدرون أي الناس أكيس قال أكيسهم أكثرهم ذكراً للموت، قالوا يا رسول الله ما علامة ذلك قال التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود .

وقال لقمان لابنه يا بني لا تؤخر التوبة إلى غدٍ فإن الموت يأتي بغتة وفي الخبر (اعمل لآخرتك كأنك تموت غداً)

فإن الإنسان إذا لم يخرج من مظالم الخلق وحقوقهم فليقطع إنه مربوط بها ومحبوس في قبره حين تنقطع القوي وتبطل الحيل ويهجره الأهل وينهب ماله الأعداء والخلان من نساء والرجال والولدان فلا ينجيه من تبعتها إلا الأداء في الدنيا والتوبة والأستحلال إذا كان معه عقله فإن كان عقله ناقص فلا يرده وعظ ولا زجر .

وعن سمرة بن جندب قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى على جنازة فلما انصرف قال هل هاهنا أحد من آل فلان فقال رجل أنا فقال إن فلاناً مأسوراً بدينه فقام أهله فقضوا عنه ، وفي رواية أن علي رضي الله عنه ضمن دين رجل توفي فقال صلى الله

علــيه وســلم يا علي فك الله رقبتك كما فككت عن أخيك المسلم ما من رجل يفك عن رجل دينه إلا فكه الله به يوم القيامة .

فصل

فــإذا مرض المسلم اُستحبت عيادته ويأمره بالتوبة من الذنوب ويأمره بالوصية بثلث ماله على الفقراء والمساكين من أهل العلم والفضل والمنقطعين عن الاسباب الذين قطعهم عنها الــورع أو غيره طوبى لمن وصلهم وذلك لأنهم أهل الله وخواصه فإذا حضره الموت قال له قل لا إله إلا الله برفق وسكينة قال صلى الله عليه وسلم من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخــل الجنة وينبغي أن يقرأ عنده (يس) لتكون عون له على خروج روحه، ويسارع في قضاء دينه وبراءة ذمته من الدين والأمانة حتى يلقى الله بريء الذمة من المظالم متخلصاً من الحقوق والجواذب وهذه هي غاية المسلم وسعادته بخلاف الذي قد حمل على ظهره شيئاً من الحقــوق من دين أو عرض أو حدود لغيره عن الحق فيكون في ذمته ويشقى به بعد الموت نعوذ بالله من المكر .

ويستحب أن يكفن كما كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاثة أثواب بيض سحوليه لــيس فيه قميص ولا عمامة ويطيّب في مواضع السجود ومغابن البدن كما طيب صلى الله علــيه وسلم كما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما ، وأما المرأة فتكفن في خمسة أثواب ودرع يقــيها مخيوط وخمار ويعمل بالرجل والمرأة كما يعمل بالعروس من النظافة والطيب، وأم الســقط إذا كان له أربعة أشهر يغسل ويصلي عليه . وورد أن إبراهيم ابن النبي صلى الله علــيه وسلم غسله النساء وهو ابن ثمانية عشر شهراً ، كما في حديث أم عطية . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر كيف بك يا عمر إذا أُعدّ لك في الأرض ثلاثة أذرع وشبراً في عرض ذراع وشبراً ثم قام أهلك وغيبوك فيه ثم يهلوا عليك التراب ثم انصرفوا .

وجاء في حديث أن التابع لها يحثي ثلاث حثيات ويسن تسنيم القبر قدر شبراً ويوضع عليه الحصباء لأجل يمسك التراب ولا يزاد عليه تراب ولا غيره لما روي عن الحسن قال رأيت قبر النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه مسنماً والمرأة يبسط على قبرها ثوب.

وقد مر على رضي الله عنه بقوم قد بسطوا ثوباً على قبر رجل فقال إنما يصنع هذا بالنساء .

ويسن أن التابع لا يجلس حتى توضع ويكره رفع القبر والكتابة عليه والحساب ويوضع عليه حصباء ويرش بالماء ، هذا السنة في قبور الصحابة ومن تبعهم بإحسان .

فصل في صلاة التسبيح

وفي السـنة عن عبد الله بن عباس قال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للعباس" يا عمـاه ألا أعطيك ألا أمنحك ألا أحبوك ثم قال تصلي أربع ركعات تقرأ في كل ركعة بعد الفاتحـة سورة ثم تقول في القيام سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر خمس عشر مرة ، ثم عشر في الركوع ثم عشر بعد الرفع ثم عشر في السجود ثم عشر بين السجدتين ثم في السجود ثم عشر بعد القيام والله أعلم .

وهذا الحديث رواه الترمذي وكان عبد الله ابن المبارك يصليها وكذا كان بعض السلف وفي الحديـث الآخر أنه علمها جعفر بن أبي طالب وفي آخر أنه علمها عمرو ابن العاص وكان بعض العارفين يصليها كل جمعة وبعضهم كل ليلة الجمعة .

فصل في صلاة الإستخارة

عـن ابن المنكدر عن جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الإستخارة في الأمر كما يعلمنا السورة من القرآن يقول إذا هم أحدكم بأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم يقول (اللهم إني أستخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم إن كنـت تعـلم أن هذ الأمر ويسميه بعينه خير لي في ديني ودنياي وآخرتي وعاقبة أمري فاقدره لي ويسره ثم بارك لي فيه وإلا فاصرفه عني ويسر لي الخير حيث ما كان وارضني به ثم إن فتح له وإلا اعاد الإستخاره .

فصل

وينـبغي لكل أحد إذا أراد سفراً حجاً أو غيرها أن يقول كما ذكره بعض العارفين (اللهم لا أثق إلا بك ولا أرجو إلا أنت ولا قوة أتوكل عليها ولا حيلة ألجأ إليها إلا طلب فضلك

والـــتعرض لمعروفك والسكون إلى حسن عبادتك وأنت أعلم بما سبق لي في علمك اللهم بقدرتك اصرف عني مقادير كل بلاء ونفس عني كل كرب وابسط علي كنفاً من رحمتك ولطفـــاً مـــن عونك وحرزاً من حفظك وادفع عني ما احذر اللهم أعني على أهاويل الدنيا وبوائق الدهور ومصائب الليالي والأيام وقني شر ما يعمل الظالمون وأعوانهم اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام وارحمنا بقدرتك علينا لا نهلك وأنت رجاءنا اللهم احفظنا بركنك الذي لا يرام وعزك الذي لا يضام .

وقـــال أبـــو ســـعيد ابن أبي الروحا ضللت بطريق مكة فسمعت حساً خلفي فاستوحشت فلحقني وقال أنت ضال قلت نعم فقال ألا أعلمك شيئاً إذا قلته وأنت ضال اهتدت أوقلته وأنـــت مستوحش أنست وإن كنت ساهراً نمت قلت بلى قال قل بسم الله ذا الشأن عظيم البرهان شديد السلطان كل يوم هو في شأن أعوذ بالله من الشيطان ما شاء الله كان لا حول ولا قوة إلا بالله فقلتها فلقيت رفقتي فطلبت الرجل فلم أجده ، وجاء في حديث إن من قال كل يوم سبع مرات {إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ} حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ، كفاه الله ما أهمه صادقاً أو كاذباً إن شاء الله .

فصل في دعاء ورد

يقال لمن همه شيء : وهو يالله يا رحمن يا حنان يا منان يا مسبحاً بكل لسان يا من يده بالخير مبسوطتان يا كافي محمد شر الأحزاب ويا كافي إبراهيم النيران ويا كافي موسى فرعون ويا كافي عيسى الجبابرة ويا كافي نوحاً الغرق ويا كافي لوط فحش قومه يا كافي من كل شيء ولا يكفي منه شيء ويا كافي عائشة ويا كافي آسية اكفني عظيم البلايا من كل شيء حتى لا أخاف ولا أخش مع اسمك العظيم شيئاً فإنه إذ قال ذلك كفى همه وجمع شمله وحفظ ووقي ونصر والله أعلم .

فصل

وورد عن بعض أهل العلم أن من دعى وسبح وجعل ثوابها للخصماء الذين يطلبون بشيء يكفيه الله أمرهم إن شاء الله والله أعلم .

وورد عـــن عـــبد الله بن الحسن عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وســـلم مـــن صلى ركعتين وقرأ في الأولى بعد الفاتحة آخر الفرقان وفي الثانية أول سورة المؤمـــنون ، فإنه يأمن مكر الجن والإنس ويعطى كتابه بيمينه يوم القيامة ويؤمن من عذاب القـــبر ومـــن الفزع الأكبر ويعلمه الكتاب وإن لم يكن حريصاً وينزع عنه الفقر ويؤتيه الله الحكمة والله أعلم .

فصل

وورد في صلاة الحاجة

عـــن أبي هاشم الأيلي عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من كان له إلى الله حاجة مهمة فيسبغ الوضوء ويصلي ركعتين يقرأ في الأولى بعد الفاتحة آية الكرسي وفي الثانية آخر البقرة فإذا سلم يقول اللهم يا مؤنس كل وحيد ويا صاحب كل غريـــب ويا قريب غير بعيد ويا شاهداً غير غائب ويا غالباً غير مغلوب أسألك بسمك الله الـــرحمن الرحيم الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم وأسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم الحي القيوم الذي عنت له الوجوه وخشعت له الأصوات ووجلت منه القلوب أن تصلي على محمد وآل محمد وأن تجعل لي من أمري فرجاً ومخرجاً وتقضي حاجتي والله أعلم

فصل

في الدعاء لدفع الظلم

روي جابـــر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم علم علياً وفاطمة رضوان الله عليهما هذا الدعـــاء (يـــا عـــالم الغيب والسرائر يا مطاع يا عزيز يا عليم يا الله يا الله يا الله يا هازم

الأحـــزاب يا كائد فرعون يا منجي عيسى من الظلمة يا رحيم عزة يعقوب يا كاشف ضرّ أيوب يا منجي ذا النون أنت الله رغبت إليك فيما علمت وأنت علام الغيوب والله أعلم .

وروى ابـــن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا يوم الأحزاب (الـــلهم إني أعوذبـــك وبنور قدسك وعظمة طهارتك وبركات جلالك من كل آفة وعاهة وطارق الجن والإنس إلا طارقاً يطرق منك بخير أنت عياذي فبك أعوذ وأنت ملاذي فيك الوذ أنا في كنفك في ليلي ونهاري

فصل

في الدعاء لذهاب الهموم وقضاء الديون

عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (من أصابه هم أو حزن وقـــال الـــلهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماضٍ في حكمك عدل فيّ قضـــاءك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن الكريم ربيع قلبي ونور صدري وجـــلاء حـــزني وذهـــاب همـــي وغمي فقال قائل يا رسول الله إن المغبون لمن غبن هؤلاء الكلمات قال صلى الله عليه وسلم أجل فقلهن وعلمهن فإنه من قالهن أذهب الله عز شأنه عنه حزنه وأطال فرحه .

دعـــاء آخـــر عند خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى الغار، روي عن أبي بكر الصديق رضـــي الله عنه أن جبريل عليه السلام قال يا محمد إن الله يقرئك السلام وقد علمني دعاء تدعوا به فيجعل الله بينك وبينهم ستراً قال : قل يا كبير كل كبير يا سميع يا بصير يا من لا شـــريك له ولا وزيـــر يا خالق الشمس والقمر المنير يا عصمة البائس الخائف المستجير يا رازق الطفل الصغير يا جابر العظيم الكسير يا قاصم كل جبار عنيد اسألك وأدعوك دعاء المضطر البائس الفقير أسألك بمعاقد العز من عرشك ومفاتح الرحمة من كتابك والله أعلم .

وروى أن رجلاً جاء إلى الحسن رحمه الله وقال إن عليّ دين فعلمني دعاء لعل الله أن يقضي عني فقال قم وصلي ركعتين وقل يا الله يا الله يا الله لا إله إلا أنت أنت الله الذي لا إله إلا هو اقض عني ديني .فأصبح الرجل فرأى تحت فراشه ما قضى به دينه فأخبر الحسن وقال لو

علمت ذلك لم أسأل الله إلا الجنة فقال له الحسن إن الذي علمك هذا الإسم لم يعلمك إلا لخير يريد بك فاكتم علي هذا الإسم لا يسمع به الحجاج فال ينجوا منه أحد والله أعلم .

وجاء من الأدعية وهو أن يقول اللهم لك الحمد شكراً ولك المن فضلاً بنعمتك تتم الصالحات نسألك اللهم فرجاً قريباً فإنك لم تزل مجيباً وصبراً جميلاً وعافية من جميع البلايا والسلامة من طريق الرزايا ولا تردنا بالفاقة إلى غيرك ولا تحرمنا سعة خيرك وحقيقة التوكل عليك وخالص الرغبة فيما لديك واملأ قلوبنا منك الغناء واكس وجوهنا منك الحياء اللهم ارزقنا خير الصباح وخير المساء وخير القضاء واصرف عنا شر الصباح وشر المساء الذي يجري بهما أمين .

دعاء آخر

الحمد لله الذي أحاط بكل شيء علماً واحصى كل شيء عدد لا إله إلا هو أهل الكبرياء والعظمة ومنتهى الجبروت والعزة وولي الغيث والرحمة مالك الدنيا والآخرة شديد العظمة لطيف لما يشاء فعال لما يريد سبحانه لا إله إلا هو اللهم اكفنا نوائب الزمان ومصارع السوء ومصائد الشيطان وصولة السلطان في يومنا هذا وسائر الأيام اللهم اصلح قلوبنا واصلح اخلاقنا وأصلح أفعالنا واصلح ذرياتنا وزوجاتنا اللهم اختم لنا بالسعادة والشهادة والدعاء عند الله بمكان فلا ينبغي لأحد أن يغفل عنه قال تعالى {فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَب ، وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ} يعني إذا فرغت من العبادة انصب في الدعاء وارغب فميا عند الله واطلبه منه والله أعلم .

وهذا دعاء عند ختم القرآن

صدق الله العظيم الذي خلق الخلق فأبتدعه وسن الدين وشرعه ونوّر النور وشعشه وقدر الرزق ووسعه وضر الخلق ونفعه وأجرى الماء وأتبعه وجعل السماء سقفاً محفوظاً مرفوعاً والأرض بساطاً وضعه وسير القمر فأطلق سبحانه ما أعلى مكانه وأرفعه وأعز سلطانه وأبدعه لا راد لما صنعة ولا مغير لما اخترعه ولا مذل لمن رفعه ولا معز لمن وضعه ولا مفرق لما جمعه ولا شريك له ولا إله معه صدق الله الذي دبر الأمور والدهور وعلم هواجس الصدور وتعاقب الديجور وسهل العسير وسخر البحر المسجور وأنزل الفرقان والنور

والتوراة والإنجيل والزبور وأقسم بالفرقان والطور والكتاب المسطور في الرق المنشور والبيت المعمور والبعث والنشور إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور .

صدق الله العظيم الذي عز فارتفع وعلا فامتنع وذل كل شيء لعظمته وخضع وسمك السماء ورفع وفرش الأرض وأوسع وفجر الأنهار فأنبع وسخر النجوم فأطلع وأنزل الغيث فجمع وكلم موسى فأسمع وتجلى للجبل فتقطع وسن وشرع وفرق وجمع صدق الله التواب الغفور الوهاب الذي خضعت لعظمته الرقاب وذلت لجبروته الصعاب ولانت له الشداد واستدلت بصنعته الألباب ويسبح بحمده الرعد والسحاب رب الأرباب ومسبب الاسباب لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب صدق الذي لم يزل جليلاً دليلاً صدق من حسبي به وكيلا صدق الهادي إليه سبيلاً صدق الله ومن أصدق من الله قيلاً .

صدق الله وصدقت أنبياءه صدق الله وجلت الآءه وصدق الله وصدقت أرضه وسماءه صدق الواحد الماجد الكريم الشاهد الشهيد وصدق نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وصدق جميع أنبياءه ورسله اللهم صلى على جميع أهل بيت نبيك الطاهرين الطيبين وعلى أصحابه المنتجين وعلى أزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين وعلى جميع من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وعمنا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين ، ونحن بما قال ربنا وشرعه من الشاهدين يرفعها بالعمل الصالح الرشيد يعطي شاهدها الخلود في جنة ذات سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب نرافق بها النبيين الشهود والركع السجود والباذلين في طاعته غاية المجهود .

اللهم اجعل القرآن ربيع قلوبنا وشفاء صدورنا وجلاء أحزاننا اللهم اجعل القرآن لقلوبنا ضياء ولأسقامنا دواء اللهم اكسنا به الحلل واسكنا به الظلل اللهم اجعلنا عند ختمه من الفائزين واغفر لنا في ليلتنا هذه أجمعين ، اللهم اجعلنا من الذين حفظوا القرآن حرمته لما سمعوه ولا تجعلنا ممن حرموه وقلّ حظهم وأهملوه اللهم اجعلنا من الذين تأدبوا بأدآبه لما حضروه واحسنوا جواره لما جاوروه فوصلوا به إلى المقامات الفاخرة والمنازل العالية اللهم اجعلها ختمة مباركة على من قرأها وسمعها وأمّن على دعائها وأنزل من بركتها على أهل الدور في دورهم وعلى أهل القصور في قصورهم وعلى أهل الحرمين من المؤمنين في

حرميهم آمين اللهم صلى على محمد كما هديتنا به الله صلى على محمد كما بلغ الرسالة وصلي على محمد شفيع المذنبين يوم التناد وعلى ذريته وزوجاته وآله وصحبه وآله ومن تبعهم إلى يوم الدين آمين .

كتاب آداب المريدين

من أهل العبادة الصادقين والإرادة مشتقة من قوله تعالى { يُرِيدُونَ وَجْهَهُ } (٥٢) سورة الأنعام ، وفي الخبر يريد به ما عند الله وغير ذلك والإرادة هي ترك ما جرت عليه العادة وهي نهوض القلب في طلب الحق سبحانه والإخلاص له وترك ما سواه فإذا ترك الإنسان العادة الذي نشأ عليها وهي حظوظ النفس وهي الكسل الفتور والتسويف في طلب الله والدار الآخرة وينشأ من ذلك كثرة النوم والأكل المفرط وخلطه الخلق إلا في نفع دين أو دنيا ويقطع عن نفسه الفكر في الناس والحقد والحسد وإرادة السوء لأحد من إخوانه المسلمين والمسلمات حينئذ صح إطلاق المريد والناسك عليه لأنه خرج من رعونة النفس وشيمة الطبع والله الهادي .

والمريد على الحقيقة هو ما كانت فيه هذه الخصال وغيرها وهي تهذيب نفسه فهو أبداً مقبل على الله مولياً عن غيره مما يقطع عليه سيره يسمع القرآن والسنة وما يعين على فهمهما ويصم عما سواهما ويبصر بنور الله ،

والإرادة لوعة تهون كل روعة فالمريد ينصح نفسه أبداً فلا يجيبها إلى ما تحب وينصح عباد الله ويأنس الخلوة مع الله ويصبر عن المعاصي ويستحيي من الله ويتبع كل سبب يوصله إلى الله حقيره وجليله ويتحبب إلى ربه بكثرة النوافل فتحط عنه أسباب الكسل ويغسل بماء الرحمة والرأفة وينطق بالحكمة ويدخل في خواص عباد الله ويطلع على أسرار تخصه فلا يبوح بها عند غيره وسكنت حركاته الشهوانية فصار قلبه خزانة للخير فهذا هو المريد إن أردت أن تعرفه يا عبد الله .

فصل

قــال بعضــهم المريدين الذين أبدانهم مع الخلق وبواطنهم مع الله بالحب والخوف والمراقبة فألسنتهم لنصح عباد الله وحب الله في قلوبهم فعليهم سلام الله وتحياته ورحمته وبركاته والله يرفع درجات من يشاء حتى الأنبياء عليهم السلام موسى انتهى سيره إلى الطور ونبينا صلى الله علــيه وسلم انتهى إلى فوق السماوات قيل ومن علامات الولي لله هو الصدق مع الحق وحســن الخُلــق مع الخلق عارفاً بنفسه وبربه الذي هو محيي الأموات المخرج أولياءه من ظلمات النفوس والطباع والأهوية والضلالات إلى ساحة الذكر والمعارف وانشراح الصدر ونــور القرب قال عز شأنه {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْــبَاحُ فِــي زُجَاجَــةٍ } (٣٥) سورة النـــور {اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ } (٢٥٧) سورة البقرة

حرسهم ربهم من الأعداء في الخلوة والجلوات لا نفس أمارة بالسوء ولا شهوة متبعة مردية قــال تعــالى {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ} (٤٢) سورة الحجــر ، حفظوا الحدود وهذبوا ونقوا وأدبوا وطهروا وطيبوا وزكوا وتمت لهم ولاية الله قــال تعــالى {إِنَّ وَلِــيِّيَ اللّــهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ} (١٩٦) سورة الأعراف، فصيرهم في قبضته وحصنه وحراسته يتشممون روح القرب ويعيشون في فسحة التوحــيد فســلمت أعمالهم من الرياء والعجب والنفاق وطلب العوض فيمتلئ قلب هذا العــبد بحب ربه كما جاء في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أحب أن ينظر إلى رجل يحب الله بكل قلبه فلينظر إلى سالم مولى أبي حذيفة .

وقــال الله يــا موسى أنا في قلب العبد التارك الوادع العفيف ، فالتارك هو الذي ترك لله والوادع الذي منّ عليه ربه فودعه بعداً عن الإثم ثم عف فلا يلتفت إلى شيء سوى مولاه .

فصل

فإن قيل فما هذه المنة التي منا بها عليه ، قيل إن الله عز شأنه منا عليه بلزوم الباب يعني باب العبودية الخاصة وثبت عليها ولم يبغي عملاً ولا حركة إلا لله ولم يُرد غيره ثم نقله إلى مرتبة

الخشـــوع وجاهد نفسه حتى ذلت وخشعت ثم نقله إلى تهذيب نفسه فخرجت تلك المواد الرديئة والغدد التي في نفسه وهي أصول الشهوات والحسد والحقد وحب السوء للناس أو لبعضهم دون بعض فلما سلمت نفسه من ذلك وصحت تأهلت لحلاوة المناجات وحضور القلــب عـــند العـــبادة وصار في نعيم كما قال تعالى {إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ، عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ}قال أهل التفسير نعيم في دورهم الثلاث الدنيا والبرزخ والآخرة .

فصل

فيما ينبغي أن يتخلق به المريد

يجـــب عـــلى المبتدي الإعتقاد الصحيح الذي عليه السلف الصالح أهل السنة القديمة سنة الأنبياء والمرسلين والصحابة والتابعين والأولياء والصديقين فعليه بالتمسك بالكتاب والسنة والعمل على ضوءهما أمراً ونهياً اصلاً وفرعاً فيجعلهما جناحيه يطير بهما في الطريق إلى الله ثم الصـــدق حـــتى يجـــد الهداية والرشاد إليه والدليل قائد يقود ومؤنساً يؤنسه ومستراحاً يستريح إليه في حالة اعيائه وثوران شهواته ولذاته قال تعالى {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} (٦٩) سورة العنكبوت

قال بعض الحكماء من طلب وجدّ وجد ، فإذا وصل إلى هذه الدرجة حصل له كرمات فإذا لم يقف عندها لا تضره وإن وقف مع الكرامة كانت له حجاب عن الله والطريق إلى المزيد .

وـــله أن يجاهد هواه المضل وطبعه المجبول على التثبيط عن السير إلى الله ثم يجب عليه أن يخلـــص له عـــلم الحقيقة بأن لا يرفع قدماً ولا يضعها إلا لله ولا يظهر عمله للناس ويكتم الكـــرامة لأن مـــن شـــروط الولي كتم الكرامة ومن شروط الأنبياء عليهم السلام إظهار المعجزة لأجل يعلمها الخلق حتى يزيد إيماهم ولأجل يظهر الفرق بين المعجزة والكرامة ولا يلـــيق بالمريد أن يعرج على أوطان التقصير ولا يخالط المقصرين والبطالين أبناء قيل وقال أعداء الأعمال الذين قال الله في حقهم {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ} (٢) ســـورة الصـــف ، وقال تعالى {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} (١٩) سورة الحشر

وينبغي له أن يبذل المعروف ويعلم يقيناً أن الله لم يخلق ولياً له في سالف الدهور بخيلاً وينبغي له أن يتذلل ولايحب الخمول ولا يبالي بذم الناس له إذا كان مطيعاً لربه ومتبعاً هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن أدآب الطالب أن لا يخبر غيره بعيوب الشيخ لأن سب أهل العلم سبب لموت القلب لأن كل أحد قد يصاب بتساهل أو غلو ثم قد يراجع وإذا غضب الشيخ أو عبس في وجهه لم يـــنقطع عنه لأن معول الطالب على الصبر ولا ينال حظ من الحظوظ إلا بالصبر ويتعلم الأدب بـــين يـــدي شيخه بالمخاطبة ولين السؤال ويأتي البيت في بابه ولا يتسلق من ورائه فـــيلام ويهـــان ولا يبلغ الغرض لأن الله سبحانه أجرى العادة بأن يكون في الأرض شيخ ومـــريد وصاحب ومصحوب وتابع ومتبوع من لدن آدم إلى قيام الساعة الا ترى أن آدم علمه الله أسماء كل شيء قال هذا فرس وهذا بغل وهذا حمار حتى علمه قصعة وقصيعة ثم لما عـــلمه جعلـــه أستاذاً معلماً شيخاً حكيماً وهذه حكمة أحكم الحاكمين في خلقه ثم يكون الطالب بدلا منه إذا مات إلا إن عاقد هوى أو دنيا أو موت .

فصل

ومـــن صفات المريد طالب العلم أن يقدم إخوانه على نفسه في كل شيء وكان صلى الله علـــيه وسلم يعطي أصحابه يشربون قبله، ويعرض نفسه على هذه الآداب السامية ومن لم يكـــن كذلك فلا يكاد يفتح عليه فالنجاح الكلي والفلاح فيما ذكرنا ، ومن الآداب ترك مخالفة شيخه في الظاهر ولا يعترض عليه ويكثر من تلاوة قوله تعالى { وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ} (١٠) سورة الحشر، وإذا ظهر من شيخه ما يكره في الشرع استنجده بضرب مثل ولا يصرّح لئلا ينفر وإن رأى فيه عيب من العيوب ستره ويعود بالتهمة على نفسه ويتأول له عذراً فإن لم يجد استغفر له ودعى له بالتوفيق والعصمة ولا يعـــتقد به العصمة فإن العصمة للأنبياء ثم هلمّ جرّ، تعلم شيث من آدم أبيه ثم أولاده وكذلك نوح علم أولاده وإبراهيم قال تعالى {وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ } (١٣٢) سورة البقرة ، وكذلك موسى وهارون علّما بني إسرائيل وعيسى علّم الحواريين وجبرائيل علّـــم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم عن أمر ربه عز شأنه علمه الوضوء والصلاة وأوصاه

بالسواك ثم خليفته بعد الموت قام مقامه مثل موسى وغلامه ابن أخته يوشع والحواريين بعد عيسى وأبي بكر وعمر بعد النبي صلى الله عليه وسلم وكذا عثمان وعلي وسائر الصحابة وكذا الصديقون والأبدال مثل الحسن البصري وتلميذه عُتبه الغلام ومثل أبي حنيفة وتلاميذه والشافعي ومالك وأحمد وهكذا فمن كان شيخه من أهل العلم والحب لله سعد به من اقتدى به ومن كان شيخه من أهل الضلال شقي وشقي به من سلك مسلكه والله المستعان .

فصل

في الذي يجب على الشيخ ويتعين في حق من تقتدي ويتتلمذ عليه هي أن يقبل عليه بنية صالحة لله لا لنفسه وهواه بل ينصحه ويلاحظه بعين الشفقة ويلاينه بالرفق فيأخذه بالأسهل ولا يحمله ما لا يطيق فيأمره أولاً بترك الطمع في جميع أموره مثل كثرة الكلام فيما لا يعنيه والفكر في أحوال الناس والمشي إلى مالا فائدة فيه وكثرة النوم والكسل والتواني ويحثه على حفظ القرآن ومطالعة التفسير والحديث ومطالعة الشروح ويعلمه الإخلاص في الطلب والقصد هو وجه الله لا لحظ النفس ولا يميل إلى تشديد الصوفية ولا إلى طريق المرجئة فإن من مال إلى الصوفية طلب أخبار التشديد فقط ومن مال إلى المرجئة طلب ما يناسبه من الترخص وإخبار العلماء المفتونين والوسط هم الخيار السائرين إلى الله بين الخوف المزعج والرجاء المطرب .

باب في صحبة الإخوان

أما الصحبة مع الإخوان فبالإيثار والصفح عن الزلات والقيام معهم في الخدمة ولا يرى لنفسه على أحد حقاً ولا يطالب أحد بحق ويرى لكل أحد عليه حق ويظهر لهم الموافقة في جميع ما يقولونه أو يفعلونه ويتأول لهم ويطلب لهم العذر ويترك مجادلتهم ويتعامى عن عيوبهم ويحفظ قلوبهم فلا يفعل شيئاً أو يقول شيئاً يفيض قلوبهم ويكدرها ولا ينطوي قلبه على حقد وشحناء وإن وجد هو في قلبه من أحدهم استيحاشاً أو أذية بغيبه أو غيرها فلا يظهر ذلك من نفسه ويرى من نفسه خلاف ذلك ويتحمل لأجل بقاء المودة والصحبة

ويكـــون في وجهه بشاشة ولا يعبس وجهه ولا يكون مماريا ولا لجوجا ويكون أبداً مساعداً لإخوانه وإن مرض أحد منهم عاده وإذا عوفي هناه بالعافية .

فصل

وأمـــا الصحبة مع الأجانب يعني سائر الخلق فيحفظ السر عنهم وينظر إليهم بعين الشفقة والـــرحمة وأن يسلم إليهم أموالهم من الديون ولا يحتال على أخذ أموالهم لا بغش ولا بغيره مـــن الحيل وأن يصبر على سوء أخلاقهم وترك معاشرتهم إلا بتعليم أو نصيحة وأن لا يرى نفســـه خـــيراً منهم فإن هذا من الكبر وأن يحقر نفسه ويقول هؤلاء خير منك لأن الله قد يـــتجاوز للجاهل ما لا يتجاوز عن غيره وأنت قد تُسأل عن النقير والقطمير وليس الذي يعلم كمن لا يعلم وأما الصحبة مع الأغنياء فالتعذر عنهم وقطع الأمل عما في أيديهم ولا تضعضـــع لهم لأنه جاء في حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من ضعضع لغني لأجل ما في يده ذهب ثلثا دينه (الحديث)

فصل

وأمـــا الصحبة مع الفقراء فبإيثارهم وترى نفسك دونهم كما جاء عن أبي سعيد بن عيسى قـــال صحبت الفقراء ثلاثين سنة ولم يجري بينهم منازعة أبداً لأني ما أرى نفسي أكبر منهم وكنت أُدخل عليهم السرور وأرفق بهم فإن الفقراء الصالحين العالمين هم أهل الله وخاصته كمـــا جـــاء عنه صلى الله عليه وسلم قال أهل القرآن هم أهل الله وخاصته، واحذر إذا أعطيـــت شـــيئاً لله أن تمن به ولو بعد مدة فإن العاقل يحذر من شر نفسه واشكر الله الذي أعطاك توفيقاً إلى ذلك لأن أكثر الخلق مسدوداً عليه باب الخير ولو كان يحبه ويبكي على فقده لأن ليس كل من أحب شيئاً أُعطيه ووُفق له وهكذا بكل شيء من العبادة وفي تجارة الدنيا وجاهها .

وأحظ الناس الذي يستغني بالله عن خلقه ويسعى في نفعهم ويكلف نفسه في مصالحهم ولا يكلفهـــم فـــإذا كـــان هكذا جاءته عساكر النصر والفضل من ربه والآئه ورأفته والرحمة والـــراحة والرعاية وتحقق فيه قوله تعالى { وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ} (١٩٦) سورة الأعراف

وتأتيه الأشياء وهو لا يأتيها يقصده القاصدون فينالون من أنواره ويتطيبون بطيبه وتكون حوائج عباد الله إليه ينفعهم بنية ولا يمن بها ولا يسأم من ترددهم إلى ما عنده من المعروف يخشى أن تنتقل عنه إلى غيره ويحظى بها سواء . ولما كان شغلهم في طاعة ربهم ونفع خلقه من علم أو مال أو جاه أو خدمة أو غير ذلك كان جزاءهم كما قال تعالى {إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ} (٥٥) سورة يس .

فصل

وإذا بلغ طالب العز والهمة العالية هذه المرتبة وتحقق بظاهر القرآن وباطنه حصول الجنة باع حينئذ الراحة وتعب في الطلب حتى تحصل له الراحة الدائمة التي ليس يشبهها شيء وطلب الجار قبل الدار كما قال الله في بعض كتبه السالفة (أودّ الأوداء إلي عبد عبدني لغير نوال ليعطى الربوبية حقها) فإذا اتصف طالب العلم وصاحب العبادة وتحقق أنه مفلس عن سوى مولاه وتنظف قلبه عن التعلق بالأشياء صار مديداً حقاً وصار أهلاً لكرامة الله وإعزازه ويجدد عليه أنواع الخلع والنعيم والحياة الطيبة والقرب قال تعالى { فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً } (٩٧) سورة النحل، وفي الحياة الطيبة أن يرحمك وينبهك وتتوب من الذنوب ويغفر لك ما سلف .

فصل

وفي آداب طالب العلم أن يجتهد على تحصيل القناعة ويتلذذ بالقناعة كما يتلذذ الغني في غناه والقناعة هي شعار الصالحين ولا يشك في وعد ربه ولا يشكوه إلى خلقه ويترل حوائجه به عز شأنه وفي آداب الطالب أن يترقب دنو الآجل في جميع ساعات وقته ليكون ذلك عوناً على الرضى وتحمل المشاق في الطلب والإحسان للغير وأنه لا يحصل راحة إلا بعد تعب ومشقة والراحة في وقت الحياة تورث الخيبة والخسران وإذا كان الطالب مجاهد نفسه زال عنه وهج حب الدنيا وشهوات الذنوب التي تطلبها النفوس الدنيئة الضعيفة المهينة التي تأتيها مضرها وخطرها من شهوها وطلب راحتها وسلوها كما قيل تديرها في تدبيرها نعوذ بالله من ذلك .

فصل
في آداب الأكل

من ذلك أن لا يأكل بالشراهة ولا على الغفلة بل يذكر الله عز وجل بالقلب واللسان ولا ينسى ذلك ,ولا يمدّ يده على الطعام قبل من هو أكبر منه ولا يقول لغيره كل ولا يقل لصاحب الطعام كل معنا وإذا جلس في موضع لا يرغبه غيره ويقعد حيث جلس ولا يرفع يده قبل الذين يأكلون معه ويأكل مع أصحابه ولو لم يكن عن شهوة لأجل الموافقة وإذا أراد صاحب الطعام صبّ الماء على أيديهم لا يُمنع ويأكل مع الأغنياء بالتعزز ومع الفقراء بالإيثار ومع الإخوان بالإنبساط ولا يبدأ قبلهم ولا يقوم قبلهم ولا يقعد بعدهم على الطعام

فصل
في الأدب مع الأهل والولد

من ذلك حسن الخلق والإنفاق بالمعروف ولا يحبس عنهم شيئاً يحتاجونه وهو موجود عنده ولا يأكل إلا تبعاً لهم ويؤثر أهله على نفسه ولا يكسب إلا حلال ولا يطعمهم الحرام أو المتشابه فإنه يورثهم المعصية والشقاق والفرقة والقسوة بل يجتهد في حسن الصبر وحسن الطاعة وتعود بركة هذه الأعمال الصالحة على عياله وأهل بيته لأن الطاعة لها تأثير كما أن المعصية لها تأثير ولا بد ولا محيد كما تشاهد الذين أهملوا وأتوا بكل محظور عناداً واتباع هوى صار عاقبة أمرهم الفرقة والفضيحة وهتك العرض .

وينبغي للعاقل أن يُربي عياله وأهله بملازمة ظاهر العلم ولا يمكنهم من المخالفة للشريعة ولا ينبغي له أن يجعلهم في البيع والشراء وتعلم الحرف بل قبل ذلك يعلمهم أحكام الدين ويحملهم على ترك الشر في طلب الدنيا ويعرفهم حقوق الدين وصحبة الصالحين وتوقير أهل العلم والعبادة لأن من وقر وُقّر ومن سفه حق أحد سُفه حقه عند كبره ومن برّ والديه برّه أولاده وبالعكس ، قال بعضهم مررت برجل يضرب شيخاً وهو أبوه وجرّه حتى جعله في موضع وقال رجل واقف أنا رأيت هذا الشيخ ضرب أباه وجره في هذا الموضع، ومن استخفّ بعلم عالم استخف الناس بعلمه لأن عدل الله عام في الدنيا والآخرة والله أعلم .

فصل

في آداب السفر

أولاً يجب على المؤمن أن يكون سفره الخروج من أوصافه المذمومة إلى صفاته المحمودة فيخرج من هواه إلى رضاء مولاه بتصحيح تقواه فإذا أراد المؤمن أن يسافر لحج أو غيره يجب عليه أن يرضي خصومه ويستأذن والديه فإذا رضوا خرج وإن كان له أهل وعيال فلا يسافر إلا بعد إصلاح أمورهم ، قال صلى الله عليه وسلم (كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت) ولا ينبغي في سفره أن يغفل عن الذكر وتلاوة القرآن وأن يكون على طهارة ولو لم يكن وقت صلاة لأن الوضوء سلاح المؤمن كما جاء في الخبر وحرز من الشيطان وكل مؤذي ولا يصحب الأحداث المردان فإنهم أقرب مصايد الشيطان وإلى الشر والفتن ودناءة النفس والتهمة وفي صحبتهم خطر عظيم .

فصل

فيما جاء في المجاهدة

والأصل فيها قوله تعالى {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} (٦٩) سورة العنكبوت

عن أبي سعيد الخذري رضي الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أفضل الجهاد قال كلمة حق عند سلطان جائر ودمعت عينا أبي سعيد وقال أبو علي الدقاق من زيّن ظاهره بالمجاهة حسن الله سرائره بالمشاهدة وكل أحد لم يكن في بدايته مجاهدة لم يجد من الطريقة شمه، وقال أبو عثمان المغربي من ظنه أنه يفتح عليه من هذه الطريقة أو يكشف له شيء بغير لزوم المجاهد فهو غلط ، وقال الدقاق من لم يكن له في بدايته قومه لم يكن له في نهايته جلسه وقال أيضاً الحركة بركة حركات الظواهر تشمر بركات السرائر وقال السري السقطي : يا معشر الشباب جدوا قبل أن تبلغوا مبلغي وكان في كبره ما يبلغ الشباب مثل عمله ومجاهدته رحمه الله .

وقال الحسن القزان رحمه الله

بلغت بهم المجاهدة إلى ثلاثة أشياء أن لا يأكل إلا عند الفاقة يعني الجوع ولا ينام إلا إذا غلبه النوم ولا يتكلم إلا عند الضرورة يعني عند الحاجة وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله لا ينال الـــرجل درجة الصالحين حتى يتجاوز ست عقبات : الأولى يغلق باب النعمة يعني الترف، والثانـــية يغلـــق باب العز يعني طلب الثناء عليه وحب الجاه، الثالثة يغلق باب الراحة يعني الفتور والكسل ومجالسة أموات القلوب، الرابعة يغلق باب النوم يعني أن النوم الكثير يقطع أهل الإرادة، الخامسة يغلق باب الغنى وهي تجارة الدنيا ويطلب تجارة النعيم والفرح الدائم ، السادسة يغلق باب الأمل لطول الحياة ويفتح باب الإستعداد للموت .

وقـــال ذو النون المصري : ما أعز الله عبداً بعز هو أعز له من أن يدله على ذل نفسه وما أذل الله عبداً بذل و أذل له من أن يحجبه عن ذل نفسه، وقال محمد ابن الفضل رحمه الله : الـــراحة هي الخلاص من أماني النفس ، وقال النصرباذي سجنك نفسك إذا خرجت منها وقعت في راحة الأبد وقال أبو الحسن الوراق قد يسهل الصيام والجوع والسهر على بعض المـــريدين لكن يصعب عليه معالجة الأخلاق الرديئة وآفات النفس ومن الآفات استحلاء المـــدح والذكر الطيب عند الخلق وتحمل أثقال العبادة لذلك ويستولي عليه الرياء والنفاق وعلاقة ذلك يرجع إلى الكسل والفشل إذا فقد المرح وعلو الذكر عند الناس وعرف هذا من نفسه بغير تعليم ثم يعالج هذا الداء والله الهادي .

فصل

ولا يتـــبين لـــك أفات النفس إلا عند الإمتحان في مواطن دعواها لأنها إن تكلمت بكلام الخائفين ولم تضطرب عند مواطن الخوف بل تجدها آمنة: وتتكلم بقول الأبرار وإذا احتجت إليها وإذا هي مشركة مرائية معجبة وتصف وصف العارفين فإذا طلبت منها ذلك وجدها كاذبـــة وتـــزعم أنها من المتواضعين ما لم يحل لها خلاف هواها عند الغضب وكذلك تدعى الســـخاء والكرم والبذل وإذا طلبتها بذلك لم تجدها إلا كسراب بقيعة يحسبه الظمأن ماء حـــتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ، ولو كانت صادقة النفس لما أظهرت التزين للخلق الذين لا يملكون لها ضراً ولا نفعاً وقال أبو حفص النفس ظلمة وسرجها الإخلاص والتوفيق .

وقال أبو عثمان لا يرى أحد عيب نفسه وهو يستحسن منها شيئاً ، وقال أبو حفص أسرع هلاكــاً مــن لا يعرف عيبه فإن المعاصي بريد الكفر، وقال السري السقطي إياكم وقراء الأغنياء وقراء الأسواق وقراء الكبراء وقال ذوا النون المصري إنما دخل الفساد على الخلق مــن ســتة أشياء ضعف النية وكون أبدانهم رهينة بشهواتهم وطول الأمل مع قرب الأجل وإيــثار رضــى الخلق على رضاء الله واتباع أهوائهم وكونهم أخذوا زلات السلف ودفنوا مناقــبهم، والأصل في المجاهدة مخالفة هوى النفس فيعظم نفسه عن المألوفات والشهوات واللذات التي إما محرمة أو مكروهة أو مباحة لكن تعوق السالك وتقطعه عن سيره .

فصل

ولا تتم المجاهدة إلا بالمراقبة وهي التي أشار إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سأله جبرائيل عليه السلام عن الإحسان فقال الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، لأن المراقبة علم العبد باطلاع الله سبحانه عليه واستدامته لهذا العلم . وهذا هو أصل كل خير وإنما يوصل إلى هذه المرتبة بعد المحاسبة واصلاح حاله في الوقت ولزوم طريق الحــق وإحسان مراعاة القلب بينه وبين ربه تعالى وحفظ الأنفاس فيعلم أن الله عليه رقيب ومن قلبه قريب يعلم أحواله ويرى أفعاله ويسمع أقواله ولا تتم هذه المراقبة إلا بعد معرفة الله عــلى الكمال ومعرفة عدوه إبليس ومعرفة نفسه الإمارة ومعرفة العمل ولو عاش دهراً مجتهداً وهو لم يعرف هذه الخصال ولم يعمل عليها لم تنفعه عبادته والله المستعان .

فصل

في معرفة الله عز شأنه

ومعــرفة الله جــلا وعلا هي أن تلزم قلبك قربه منك وقيامه عليك وقدرته وشهادته وأنه رقيــب حفيظ واحد ماجد لا شريك له في ملكه وأنه عند ما وعد صادق وعند ما ضمن وافٍ وله ثواب وعقاب ليس له شبيه ولا مثيل وأنه كافٍ رحيمٍ وإنه كل يوم هو في شأن لا يشــغله شــأن عــن شــأن يعلم الخفي وفوق الحي والضمير والخطرات والهمة والإرادة

والوسوسة والحركة والطرفة والغمزة والهمزة وما فوق ذلك وما دون ذلك مما دق فلا يعرف وكبر فلا يوصف وقد تقدم ذلك في معرفة الصانع قبل.

وأما معرفة إبليس فقد أمر الله بمحاربته في السر والعلانية في الطاعة والمعصية وأعلم الله خلقه بأنه عادي الله وعادي خليفته في الأرض آدم عليه السلام وضاره في ذريته وأنه لا ينام إذا نام الآدمي ولا يغفل إذا غفل الآدمي ولا يسهو . قال الشاعر {جاورنا عدو ليس ينسى } يعني ما يموت فنستريح، مجتهداً في عطب الآدمي وهلاكه ومصائده كثيرة من اللذات والمشتهيات التي يجهلها كثير من العابدين المغرورين المخدوعين وليست بقيته أن يوقع ابن آدم في معصية أو رياء أو عجب إنما بقيته أن يرتد عن الإسلام الصحيح وهو يزين له حاله من قشور العمل والدعاوي الكاذبة قال تعالى {إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ} (٦) سورة فاطر

فإذا عرفه العبد بهذه الصفة فينبغي له أن يُلزم قلبه معرفة الحق والباطل بلا غفلة ولا سهو فيحاربه أشد المحاربة سراً وعلانية لا يقصر في ذلك ولا يدع التضرع والإلتجاء إلى الله عز شأنه والإستغاثة به في جميع أموره ويظهر الفقر والفاقة إلى ربه ومولاه فإنه لا حيلة ولا قوة إلا به سبحانه وتعالى وهذا العدو أول من عصى الله وأول من مات من خلقه كما جاء في الحديث أن أول من مات من خلقي إبليس يعني عصاه، وينبغي للعبد أن يعلم أنه بجهاد عظيم ولا يعجز ولا يمل فإن عجز أو مل عصى الله ووقع في جهنم وغضب عليه الله وهو يريد من الخلق الكفر فإنه إنما ينقلهم من حال إلى حال وكل حال شر ترقق التي بعدها وهكذا حتى ينسلخ العبد كما فعل مع اليهود حال بعد حال حتى قتلوا الأنبياء ولو طلب ذلك منهم في أول أمرهم لما حصل له .

فصل

وينبغي أن يحترز من خدع إبليس اللعين لا يوقعه في فخوخه ويذهب به في مكره فإن له مصائد وغوائل شهية وطرائف لذيذة يحسبه الجاهل نوراً ويقيناً وهو شك وظلمه يفتح له مائة باب من الطاعة يريد أن يدخله في أدنى منزلة تذهب في جميع عمله فالحذر الحذر ولأهل المجاهدة عشر خصال جربوها لأنفسهم

الأولى: أن لا يحلف بالله ولو كان صادقاً، الثانية: يتجنب الكذب ، الثالثة: أن لا يخلف الوعد، الرابعة: أن لا يلعن، الخامسة : ان لا يدعو على أحد وإن ظلمه، السادسة : أن لا يتهم أحدً بشرك أو غيره من هوى نفسه فإن فعل استحق المقت، السابعة: غض البصر، الثامنة: أن لا يكلف أحداً مؤنته بل يرفع مؤنته عن الخلق وتكليفهم، التاسعة: أن لا يمد عينيه إلى من هو فوقه ، العاشرة : التواضع لانه يشيد مجده ويصير عزيز عند الله وعند الخلق .

وكل من رأى من الناس يقول عسى أن يكون هذا خير مني وأرفع درجة وإن رأى صغيراً قال هذا لم يعصى الله وإن رأى كبيراً قال هذا عبد الله قبلي وإن رأى صاحب علم قال هذا أعطي ما لم أبلغه ونال ما لم أنل وإن رأى جاهلاً قال هذا لعله عصى عن جهل وأنا عصيت عن علم ولا أدري بما يُختم لي وهذا هو باب الشفقة على الخلق والوجل من المقت فإذا كان العبد كذلك بلغ منازل النصيحة وكان من أصفياء الله وأحبائه وكان من أعداء إبليس ومع ذلك قد قطع طريق الكبر وحبال العجب وهذا منح العبادة وغاية شرف المريدين فلا شيء أفضل منه وأرفع ومع ذلك يقطع لسانه عن العالمين وكان لسانه في السر والعلانية واحد .

فصل
في التوكل على الله

والأصل فيه قوله تعالى { فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ} (٨٤) سورة يونس

وحديث عكاشة وعلى ربهم يتوكلون، وحقيقة التوكل تفويض الأمور إلى الله عز شأنه والتنقى من ظلمات الإختيار والترقي إلى ساحات شهود الأحكام فالمتوكل يسكن إلى وعد ربه عز شأنه فالتوكل على كل حال، وعندما وضع إبراهيم عليه السلام في المنجنيق قال لجبرائيل أما إليك فلا ، وقال حمدون : التوكل هو الإعتصام بالله عز شأنه وقال إبراهيم الخواص: التوكل إسقاط الرجاء والخوف فما سوى الله وقيل التوكل رد العيش إلى يوم واحد واسقاط هم غداً وقيل التوكل أن لا تعصي الله من أجل عيشتك وقال الجنيد : التوكل أن تقبل على الله بجميع أمورك وتعرض عمن سواه وقيل التوكل اعتصام العبد الذليل بالرب الجليل .

وقـيل التوكل السكون عن الحركات اعتماداً على خالق الأرض والسموات وقيل لبهلول المجـنون متى يكون العبد متوكلاً قال إذا كان بين الناس غريب وقلبه من ربه قريب، وقال طـاووس دخل أعرابي وعقل راحلته ثم قال اللهم إن هذه الراحلة وما عليها في ضمانك ثم دخل المسجد الحرام فلما خرج وجد الراحلة قد أخذت فرفع رأسه إلى السماء فدعى فإذا رجل نازل من الجبل يقود الراحلة بيده اليسرى ويده اليمنى مقطوعة ومعلقة في عنقه فقال خـذ راحلتك فسأله عن القصة فقال جاءني فارس على فرس اشهب وقال لي يا سارق مد يدك فوضعها على حجر فقطعها وعلقها في عنقي وقال رد الراحلة إلى الأعرابي.

وكان عمر رضي الله عنه يتمثل بهذين البيتين

هون عليك فإن الأمور بأمر الإله مقاديرها

فليس يأتيك مصروفها ولا هارب عنك مقدورها

وسـئل يحيى بن معاذ رحمه الله متى يكون العبد متوكلاً قال إذا رضي بالله وكيلاً وقال أبو تراب التوكل طرح البدن في العبودية والطمأنينة إلى الكفاية فإن أُعطي شكر وإن مُنع صبر وقـال ذو النون التوكل ترك التدبير وقيل التوكل نفي الشكوك والتفويض إلى ملك الملوك والحـركة في السبب لا تنافي التوكل فإن التوكل محله القلب فمن أنكر الكسب فقد أنكر السـنة ومن أنكر التوكل فقد أنكر الإيمان فتكون جوارحه محركة في السبب وباطنه ساكن بوعـد الله عز شأنه . وقد روي عن أنس رضي الله عنه قال جاء رجل إلى رسول الله صلى الله علـيه وسلم فقال يا رسول الله أعقل الناقة وأتوكل أو أتركها وأتوكل فقال صلى الله عليه وسلم اعقلها وتوكل .

فصل

في حسن الخلق وفضله

قال تعالى {وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ} (٤) سورة القلم

وجاء في الحديث الصحيح قال صلى الله عليه وسلم (أفضل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقاً) والخلـق الحسن أفضل مناقب العبد وبه تظهر جواهر الرجال وقال أبو سعيد الخراز حسن الخلق لا يكون له همة غير الله وقيل حسن الخلق كف الأذى وبذل الندى وقيل لذي النون

المصري من أكثر الناس هماً قال أسوأهم خلقاً وقال الحسن في قوله تعالى {وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ} (٤) سورة المدثر، أي خلقك فحسن وقيل الخلق الحسن أن تكون من الخلق قريب وبينهم غريب وقالت امرأة لمالك ابن دينار يا مرآئي فقال يا هذه قد وجدت وصفي الذي جهله أهل البصره .

فصل

في فضل الشكر

قال تعالى { فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ} (١٥٨) سورة البقرة

وقال صلى الله عليه وسلم أفلا أكون عبداً شكوراً ، وحقيقة الشكر عند أهل المعرفة الإعتراف بالنعم مع الخضوع وقيل شكر العينين أن تستر عيباً تراه وشكر السمع أن تستر عيباً تسمعه وقال أبو بكر الوراق شكر النعمة مشاهدة المنة وحفظ الحرمة وقال أبو عثمان الشكر معرفة العجز عن الشكر وقال الجنيد الشكر أن لا ترى نفسك أهلاً للنعمة وقيل الشاكر الذي يشكر على الموجود والشكور الذي يشكر على المفقود ويقال الشاكر الذي يشكر على النفع والشكور الذي يشكر على المنع ويقال الشاكر الذي يشكر على العطاء والشكور الذي يشكر على البلاء وقيل الشكر قيد الموجود وصيد المنقود وقال أبو عثمان شكر العامة على المطعم والمشرب وشكر الخواص على ما يرد على قلوبهم من المعاني قال تعالى { وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ} (١٣) سورة سبأ

وقيل إذا قصرت يدك عن المكافات فليطل لسانك بالشكر وقيل مر نبي على حجر يخرج منه ماء فأنطقه الله وقال أنا منذ سمعت الله يقول { النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ } (٢٤) سورة البقرة، أخاف أن أكون في النار فدعى له النبي فأجاره الله من النار ثم مر عليه وهو يخرج منه ماء كثير فقال الماء الأول بكاء حزن وهذا بكاء الفرح والسرور وقيل الشكر على نعم الأنفاس والشكر على نعم الحواس وقال داوود عليه السلام يا رب كيف أشكرك وشكري لك نعمة من نعمك علي فأوحى الله إليه الآن شكرتني ،

وقـــال الشبلي الشكر رؤية المنعم لا رؤية النعم والشكر العمل والحمد القول باللسان قال الله عز شأنه { اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا } (١٣) سورة سبأ، وقال تعالى {وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ } (٧٤) سورة الزمر .

فصل

فيما جاء في الصبر

الأصـــل فـــيه قوله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} (٢٠٠) سورة آل عمران

وقـــال صلى الله عليه وسلم (الصبر عند الصدمة الأولى) وقيل الصبر على قسمين صبر على ما هو كسب للعبد وصبر على ما ليس بكسب للعبد ، وقيل وقف رجل على الشبلي فقال أي الصبر أشد على الصابرين قال صبر في الله فقال لا فقال صبر لله قال لا قال صبر مـــع الله قـــال لا قال فأي شيء هو عندك قال صبر عن الله فصرخ الشبلي صرخة كادت روحـــه تخرج وقال الجنيد السير من الدنيا إلى اللآخرة سهل وهجران الخلق في جنب الله شـــديد والسير من النفس إلى الله شديد وسئل عن الصبر فقال تجرع المرارة من غير تعبس وقال ذو النون الصبر التباعد عن المخالفات وإظهار الغنى مع حلول الفقر .

وقال إبراهيم الخواص الصبر الثبات مع الله عز شأنه على أحكام الكتاب والسنة وقال يحيى بـــن معاذ الرازي صبر المحبين أشد من صبر الزهاد وقيل الصبر ترك الشكوى وقيل الصبر الإســـتكانة والإستعاذة بالله سبحانه وقيل الصبر الإستعاذة بالله عز شأنه في كل شيء وقيل الصـــبر الوقـــوف مع البلاء بحسن الأدب يعني لا يشكو ولا يسب ولا يظهر جزعاً وقيل أحسن جزاء على العبادات الجزاء على الصبر ولا جزاء فوق قول الله عز شأنه { إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ} (١٠) سورة الزمر

فصل

في فضل الرضاء

والأصل فيه قوله عز شأنه { رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} (١١٩) سورة المائدة

وقال صلى الله عليه وسلم ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وقال قتادة المشرك إذا بشر بالأنثى ظل وجهه مسوداً والمؤمن يرضى بما قسم الله له قال عمر رضي الله عنه لأبي موسى أما بعد فإن الخير كله في الرضاء . واعلم أن تعب كل واحد من الخلق على قدر منازعته وعدم رضاه بما قسم له ومتابعته هواه .

واختلف أهل المعرفة هل الرضاء من الأحوال أو من المقامات فقال أهل العراق هو من جملة الأحوال وقال الخراسانيون هو من المقامات وهو نهاية التوكل والأحوال هي التي تزول والمقامات التي تثبت حتى يرقى إلى غيرها من مقامات العبودية .

وفي الجملة الراضي لا يعترض على تقدير الله وقال أبو علي الدقاق ليس الراضي هو أن لا يحس بالبلاء إنما الرضا أن لا تعترض على الحكم والقضاء وقد قالت المشائخ رحمهم الله الرضا باب الله الأعظم وجنة الدنيا من أُكرم بالرضاء فقد لقي الرحب الأوفى وأكرم بالقرب الأعلى وقال تلميذ لشيخه هل يعلم العبد أن الله راضي عنه قال الشيخ لا قال بلى قال كيف قال إذا وجدت قلبي راضياً عن الله علمت أنه راض عني فقال الشيخ لقد أحسنت يا غلام وجاء أن موسى عليه السلام قال يا ربي دلني على عمل إذا عملته رضيت عني قال يا ابن عمران لا تطيق ذلك فخر موسى ساجداً وتضرع إلى ربه فأوحى الله إليه أن رضائي في رضاك بقضائي .

فصل

فقيل الرضاء على قسمين رضاً به ورضاً عنه مدبراً .

والرضا عنه فيما يقضي حاكما وفاصلاً وقيل الرضا إخراج الكراهية من القلب وقالت رابعة العدوية الرضا سروره بالمصيبة كما يسر بالنعمة وقال ذو النون ثلاثة من علامات الرضا ترك الإختيار وفقدان المرارة وهيجان الحب فالخير كله في حفظ الحال والرضا وترك

الإلتفات إلى ما سوى الله سبحانه وقال بعضهم الرضا إسقاط التخيير على المدبر وقال بعضهم أهل الرضا هم الذين قطعوا عن قلوبهم الإختيار وأقل ما في الرضا أن ينقطع طمعه عمن سوى الله وقال يحيى ابن كثير قرأت في التوراة ملعون من كان ثقته بمخلوق مثله وروي في بعض الأخبار أن الله قال وعزتي وجلالي لأقطعن أمل كل مؤمل أملّ غيري ولألبسنه ثوب المذلة بين الناس، وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من تعزز بالناس ذل فكفا شر من ظلمة قلبه وتشتيت همه وذله فقد اجتمع عليه ذل في الدنيا وبعد من الله، وقال بعضهم لا أعلم شيئاً اضر على المريدين من الطمع ولا أخرب لقلوبهم ولا أشد تشتيتاً لهممهم وذلك لأنه شرك وقيل الطمع له أصل وفرع فأصله الغفلة وفرعه الرياء والتزين والتصنع وحب الجاه عند الناس وقال عيسى عليه السلام للحواريين الطمع القتول الموجي وقال بعض العارفين طمعت مرة في شيء من الدنيا فهتف بي هاتف يقول يا هذا لا يُحمد في الحر المريد أن يركن قلبه إلى العبيد وهو يجد عند الله كل ما يريد .

فصل

فيما جاء في الصدق

والأصل فيه قوله عز شأنه {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ} (١١٩) سورة التوبة

وقال صلى الله عليه وسلم ولا يزال العبد يصدق حتى يكتب عند الله صديقاً ، وقيل أوحى الله إلى داوود من صدقني في سريرته صدقته عند الخلق في علانيته واعلم أن الصدق عماد الأمر وتمامه وقيل من أراد أن يكون الله معه فليلزم الصدق ، وقال سهل لا يشم رائحة الصدق عبد داهن نفسه أو غيره ومعناه إذا رأت نفسه معصية قال هذا أسهل والله غفور رحيم .

وقيل الصادق ينال ثلاثاً الحلاوة والهيبة والملاحة وسئل فتح الموصلي عن الصدق فأدخل يده في كير النار وأخرج حديدة فبردت وهي على يده فقال الصدق هذا يعني هذه كرامة وقال المحاسبي الصادق هو الذي لو خرج قدره من قلوب الناس لا يبالي من أجل صلاح قلبه وإخلاصه والله أعلم .

فصل

(المقالة الأولى)

لا بد لكل مؤمن في سائر الأحوال من ثلاثة أشياء أمر يمتثله ونهي يجتنبه وقدر يرضى به فلا يخلو المؤمن من أحد هذه الثلاثة فينبغي أن يلزم نفسه همها وليحدث بها نفسه ويأخذ الجوارح بها في سائر أحواله .

(المقالة الثانية)

اتبعوا ولا تبتدعوا وأطيعوا ولا تمرقوا ووحدوا ولا تشركوا ونزهو الحق ولا تتهموا ووحدوا ولا تشركوا ونزهو الحق ولا تتهموا وصدقوا ولا تشكوا واصبروا ولا تجزعوا وثبتوا ولا تنفروا واسألوا ولا تسأموا وانتظروا وترقبوا ولا تيأسوا وتآخوا ولا تعادوا واجتمعوا على الطاعة ولا تفرقوا وتحابوا ولا تباغضوا وتطهروا من الذنوب وبها لا تتدنسوا وتلطخوا وبطاعة ربكم وتنيروا وعن باب مولاكم لا تبرحوا وعن الإقبال عليه فلا تتولوا وبالتوبة فلا تُسوفوا وعن الإعتذار إلى خالقكم في أناء الليل وأطراف النهار فلا تملوا لعلكم تُرحموا وتُسعدوا وعن النار تُبعدوا وفي الجنة تحبروا وإلى الله تصلوا وفي النعيم وانفضاض الأبكار في دار السلام تشغلوا وعلى ذلك أبداً تخلدوا وعلى النجائب تركبوا وبغناء الحور تجروا ومع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين في عليين تُرفعوا .

(المقالة الثالثة)

قال رحمه الله وإذا ابتلى العبد ببلية لم يجد أحداً يعالجه من أهل الطب والعالمين في علاج الأمراض رجع إلى ربه وخالقه بالدعاء والتضرع والثناء وتطرح بين يديه مديماً للسؤال والدعاء والإفتقار مع الخوف والرجاء فيصير موقناً وموحداً ضرورة، فيقطع الأطماع على الحقيقة إلا عن الله فلا محرك ولا مسكن إلا الله ولا خير ولا ضده ولا نفع ولا عطاء ولا منع ولا فتح ولا غلق ولا موت ولا حياة ولا عز ولا ذل ولا غِنى ولا فقر إلا بيد الله عز شأنه وتعالى فيصير العبد كالطفل بيد ضئره والميت بيد الغاسل فيكون غائب عن نفسه في فعل مولاه إن أبصر أبصر لله يبصر مخلوقاته وإن سمع سمع كلام الله وحكمته وبنعمته تنعم

وبقربه سعد وبوعده صدق وسكن وبكلامه أنس وعن غيره استوحش ونفر وإلى ذكره لجأ وركن وبه عز وجل وثق وعليه توكل وبنور معرفته اهتدى وتقمص وتسربل ثم حمد واثنى وشكر ودعا .

(المقالة الرابعة)

قال رحمه الله إذا أعرضت عن الخلق وأقبلت على الخالق رحمك الله وأبعدك عن هواك وإذا أبعدت عن هواك رحمك الله إن شاء وأبعدك عن إرادة نفسك ومناها فإذا أبعدك عن هوى نفسك ومناها فحينئذ تحي حياة طيبة لا موت بعدها قال تعالى { فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} (٩٧) سورة النحل، وتغني غناء لا فقر بعده وتعطي عطاء لا منع بعده وتستريح راحة لا شقاء بعدها ونعم نعيم لا بؤس بعده وتعلم علماً لا جهل بعده وتأمن أمنا لا خوف بعده وتسعد ولا تشقى وتعز ولا تذل وتقرب ولا تبعد وترفع ولا توضع وتعظم فلا تحقر وتطهر فلا تُدنس ، فتتحقق فيك البركة وتصدق فيك الأقاويل فتكون مثل الكبريت الأحمر ويسارع إليك بالدعاء والثناء الحسن الجميل والخدمة ويحبك كل من يحب الله ورسوله من أهل الإيمان وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

(المقالة الخامسة)

قال رضي الله عنه إذا رأيت الدنيا في أيدي أربابها بزينتها وأباطلها وخدعها ومصائدها وسمومها القاتلة مع لين مسها وضراوة باطنها وسرعة إهلاكها ونقض عهدها ، فكن كمن رأى إنساناً على أشد جيفة فيها دود ونتن فإنك تغض بصرك عنه وتسد أنفك فأنت غض بصرك عن زينتها وخذ حذرها لتنجو منها ومن آفاتها ويصل إليك قسمك منها وأنت في راحة ذهن قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم {وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى} (١٣١) سورة طه .

(المقالة السادسة)

قال رضي الله عنه إغن عن الخلق بحكم الله وعن هواك بأمر الله وعلى الله فتكلوا إن كنتم مؤمنين، معنى الغنى عن الخلق يلهو عنهم ولا يهمونه لا بخوف ولا رجاء ، والغنى عن هواك تتركه إذا خالف أمر الله ولو كرهت نفس الإنسان، فحينئذ تصلح أن تكون وعاء للعلم فالله كما تولاك أولاً وحفظك برحم الأم ويتولاك آخراً وتكون ساكن الجوارح مطمئن القلب مشروح الصدر منور الوجه عامر الباطن غنياً عمن سوى الله ويعلمك رب الملك ويكسوك نوراً وينزلك منازل من سلف من أهل العلم والبصيرة فتكون منكسر القلب بين يدي مولاك فلا يكن فيك شهوة مخالفة ولا إرادة فتكون مثل الإناء المنثلم الذي لا يثبت فيه مائع ولا كدرة فلا يقبل باطنك شيئاً غير ما يريد الله فتدخل حينئذ في زمرة المنكسرة قلوبهم، كما جاء في الحديث (أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي) ولا تكون في هذه المنزلة الرفيعة حتى تنكسر جملتك هواك وإراداتك إلى أن يبلغ الكتاب أجله فيحصل اللقاء فهذا معني الحديث والله أعلم .

وجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وفي لفظ آخر فبي يسمع وبي يُبصر وبي يبطش فإذا فنيت عن الخلق والخلق فبهم خير وشر وأنت فيك خير وشر وكل هذا من قدر الله فيؤمنك الله من شر ما قدر ويفرقك من بحار خيره فتكون وعاء لكل خير ومنبعاً لكل نعمة وصبور وسرور ونور وأمن وسكون وهذا هو الذي انتهى إليه سير الأولياء وهي الإستقامة التي طلبها من تقدم من الأبدال رحمهم الله .

(المقالة السابعة)

اخرج من نفسك وهواك وسلم الكل إلى الله بوابة على قلبك وأمتثل أمره فلا تدخل الهوى على قلبك بعد أن خرج منه فإخراج الهوى من القلب هو بمخالفته وترك متابعته من جميع الأحوال وإدخاله على القلب هو بمتابعته يعني هواك فلا ترد إرادة غير إرادته عز شأنه وغير ذلك يكون تمني وهو وادي الحمقاء وفيه حتفك وهلاكك وسقوطك من عينه وحجابك

عنه احفظ أبداً أمره وانته أبدا عن نهيه وسلم أبداً إليه مقدوره ولا تشرك به أحد من خلقه فإرادتك وهواك ونفسك الأمارة كلنها من جملة خلقه قال تعالى { فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} (١١٠) سورة الكهف

وليس الشرك عبادة الأصنام فقط بل حتى متابعتك لهواك يدخل فيها .

فاحذر ولا تركن وخف ولا تأمن وفتش ولا تغفل فتطمئن ولا تنسب إلى نفسك رحالاً ولا مقـالاً فإن أُعطيت حالاً أُقمت في مقام فلا تخبر أحداً بشيء من ذلك فإن الله سبحانه كل يـوم هـو في شأن في تغيير وتبديل فيزيلك عما أخبرت به فإن كان ثبات وبقاء فتعلم أنه موهـبة وتسأل الله التوفيق والزيادة وإن كان غير ذلك كان فيه زيادة علم وتيقظ وتأديب فأستغفر الله وتب إليه قال صلى الله عليه وسلم إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله في كل يوم سبعين أو مائة مرة كان ينقل من حال إلى حال أخرى ويسرى به في منازل القرب وميادين الغيب وتجدد عليه خلع الأنوار فيلقن الإستغفار

(المقالة الثامنة)

قال رحمه الله تعالى

إذا كنـت في حال لا تختر غيرها لا أعلى منها ولا أدنى ولا ترفع نفسك تعزها لكن الله هو الـذي يقيمك مقام العز قال تعالى {مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا } (١٠) سورة فاطر،

مـن أراد العزة فليطع العزيز فعمل بما يرضي ربك حتى يجعلك في مقام لا تزل عنه فتعلم حينئذ أنه موهبة من الله بعلامات تظهر ولا تزال فالأحوال للأولياء والمقامات للأبدال .

(المقالة التاسعة)

قـال رحمه الله ومما يكشف للأولياء وأهل الصلاح من أفعال الله يبهر العقول وتكو إجلال وجمـال فـالجلال والعظمـة يورثان الخوف المقلق والوجل المزعج في القلب ويظهر على الجـوارح كما روي عنه صلى الله عليه وسلم إنه يُسمع من صدره أزيز كأزيز المرجل في الصلاة من شدة الخوف .

وأمـــا مشاهدة الجمال فهو ما يحصل في القلوب من الأنوار والسرور والألطاف والبشارة بالمواهـــب والقرب منه فضلاً من الله ورحمة وثبات منه لهم في الدنيا إلى بلوغ الأجل فيفعل ذلك بهم لطفاً ورحمة ومداواة وتربية لقلوبهم إنه حكيم عليم ولهذا روى أنه صلى الله عليه وسلم يقول يا بلال أرحنا في الصلاة لمشاهدة ما ذكرنا من الجمال وقال وجعلت قرة عيني في الصلاة .

(المقالة العاشرة)

إنمـــا هـــو الله سبحانه هو المخاطب وأنت المخاطب والنفس ضد ما يريد الله بك من الخير والنفس ادعاء وتمني وشهوة ولذة فإذا كنت خصيم نفسك تحققت حينئذ موالاتك لله عز وجـــل فتكون عزيز مكرم وخدمتك الأشياء وعظمتك لأنها كلها تابعة لبرها موافقة له إذا هو خالقها قال تعالى{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا} سورة مريم:٩٦

فالعـــبادة كل العبادة في مخالفة نفسك وهواك قال الله عز شأنه فلا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ، (وقيل إن الله أوحى إلى داوود قال اهجر هواك فإنه لا منازع ينازعني في ملكي غير الهوى)

والـــرواية المشهورة عن أبي يزيد البسطامي لما رأى رب العزة في المنام فقال كيف الطريق إليك قال اترك نفسك وتعال، قال فإذا الخير كله في معاداتها وإذا أردت الطريق إلى التقوى فخالف النفس واخرج من شبهة الخلق ومنتهم والتوكل عليهم والثقة بهم والخوف والرجاء منهم والحاكم هو كتاب الله عز شأنه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فلا تخرج عنهما فإن وجدت خاطر أو إلهام فعرضهما عليهما يعني كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وبارك على سيد المرسلين وآله وصحبه والتابعين لهم أجمعين.

انتهى ما تيسر جمعه من كلام العالم الرباني رضي الله عنه

وكان الفراغ منه سنة ١٤٢٠ هـ

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة